

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي.
جامعة بشار.

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية.
قسم العلوم الإنسانية.
المقياس: الموقف الدولي من الاحتلال الفرنسي للجزائر.
السنة: الأولى ماستر تاريخ المقاومة والحركة الوطنية.

**مطبوع بيداغوجي مقدم لطلبة السنة الأولى ماستر: تاريخ المقاومة
والحركة الوطنية.**

محاضرات في تاريخ الجزائر المعاصر.

"الموقف الدولي من الاحتلال الفرنسي للجزائر".

الدكتور: سلاماني عبد القادر

السنة الجامعية 2020-2021.

المقدمة:

تعرضت القارة الإفريقية خلال القرن 19م إلى أخطر مرحلة استعمارية، ويعود ذلك لعدة عوامل داخلية تمثلت في الضعف العسكري والتخلف الثقافي والعلمي، ودوافع خارجية تمثلت في المحاولات الأوربية المتكررة لاحتلال إفريقيا واستغلال خيراتها، وتوجيه أنظارها الاقتصادية والتجارية في البحث عن أسواق جديدة، وهذا ما أدى إلى تجدد النزعة الاستعمارية واشتد التيار الاستعماري الأوروبي.

يعتبر مشروع احتلال فرنسا للجزائر تكملة لمشروعها التوسعي على كافة البلدان المغربية والإفريقية فبفضل احتلالها للجزائر تستطيع تحويل البحر المتوسط إلى بحيرة فرنسية، والتعويض على ما فقدته من مستعمرات بأوروبا مع تأمين موارد اقتصادية لشعبها ومصانعها، وأسواق تمكنها من إنعاش الاقتصاد الفرنسي وتطويره ومناقسته للدول الأوروبية، لذا كانت استماتة الجيش الفرنسي كبيرة ومكلفة لاحتلال الجزائر من هذا المنطلق سعت الإدارة الفرنسية إلى التخطيط من أجل احتلال الجزائر.

عملت السلطات الفرنسية في إطار مشروعها الاستعماري القديم، في توجيه عدة مخططات حوض البحر الأبيض المتوسط واعتبار الجزائر كقاعدة حيوية نظرا لموقعها الاستراتيجي الهام في توسطها للمغرب وبوابة لإفريقيا، لذا كلفت جواسيسها من قناصل وضباط عسكريين لمعرفة جميع الطرق والوسائل التي تمكنها من احتلال الجزائر بدون خسائر مادية وبشرية، ولإنجاح حملتها، وتحقق لها ذلك بعدما انتهت معركة سطاوالي وتوقيع الداوي حسين لمعاهدة الاستسلام في 05 جويلية 1830م، والتي حددت الزوال القانوني للوجود العثماني في الجزائر، واعتبرت نفسها الوريث الشرعي والقانوني للدولة العثمانية على أرض الجزائر، وبالتالي الجزائر أرض فرنسية.

وهكذا اتفق الاستعماريون والبرجوازيون الفرنسيون على غزو واستغلال خيرات الجزائر، ونقل الفائض من دخلاء فرنسا إليها فعملت منذ البداية على ترسيخ دعائم هذا الوجود وتمكينه من خلال السيطرة المنظمة عسكريا ومدنيا، وتشجيع الهجرة الاستيطانية، وبناء قاعدتها الديموغرافية لتدعيم قوتها العسكرية، لذا سعت السلطات الاستعمارية الفرنسية لإيجاد عدة

مبررات من خلال تعاملها مع دول الجوار المغربية والدول العربية لتحقيق أهدافها، وإنجاح مشروعها الاستعماري بالجزائر من خلال مجموعة من الإجراءات مع الدول الأوروبية والدول المغربية والعربية لاحتلال الجزائر.

تعتبر الخلفيات الفرنسية في تعاملها مع الدول المغربية لإنجاح عملية الاحتلال، لديها عدة معطيات تشترك فيها هذه الدول المغربية في مواجهة الدول الأوروبية التي كانت توجه أنظارها لاحتلال هذه الدول بعد سقوط غرناطة سنة 1492م، وظهور حروب الاسترداد لمطاردة مسلمي الأندلس بهذه الأراضي المغربية، وعلى هذا الأساس ظهر ذلك الصراع بين دول غرب أوروبا والبلدان المغربية، باسم الحرب المقدسة فقد كانت العديد من المحاولات الأوروبية لاحتلال هذه البلدان المغربية ونخص بالذكر الجزائر لأهميتها الاستراتيجية والاقتصادية والقوة البحرية التي كانت تتمتع بها خلال العهد العثماني هذا ما جعلها عرضة للأطماع الأوروبية، لذا عملت فرنسا لكسب هذه الدول المغربية والعربية إلى صفها لإنجاح حملتها العسكرية على الجزائر.

- مدخل:

عرفت الجزائر قبيل الاحتلال الفرنسي أوضاع متباينة في جميع مجالات الحياة، فقد مر المجتمع الجزائري بأوضاع اجتماعية وثقافية واقتصادية وسياسية مختلفة، فقد قدر عدد سكان الجزائر عشية الغزو الاستعماري بأربعة ملايين وخمسة مائة ألف، أو بثلاثة ملايين وأربعة مائة ألف¹ ويقول مصطفى الأشرف في هذا الصدد: بأن عدد سكان مدينة الجزائر حوالي

¹ - محمد طيبي، الجزائر عشية الغزو الاحتلالي - دراسة في الذهنيات والبنىات والمآلات، دار ابن نديم، الجزائر، ط1، 2009، ص105.

ستين ألفاً منهم 25 ألف مسلمون وخمسة آلاف يهودي، أي أن عدد الجزائريين لم يكن يتجاوز ثلاثين ألفاً.¹

أما عن الوضع الثقافي فتميز التعليم في الجزائر قبل الاحتلال بمرحلتين هما:

أ- المرحلة الأولى مختصة بالتعليم الابتدائي:

كان يُعطى في الكتاتيب وكان مفتوحاً لكل أبناء الجزائريين بدون استثناء، مما أدت إلى انتشار الكتاتيب على نطاق واسع فعملت إدارة الاحتلال أثناء الحملة بإحصاء الجزائريين الذين يُزاولون هذا النوع من التعليم وحصرتها 20% من مجموع أطفال الجزائر، أما مواد التعليم انحصرت في تعليم قراءة الحروف الأبجدية وكتابتها ثم حفظ القرآن الكريم.²

ب- المرحلة الثانية التعليم الثانوي:

كانت مهمة التعليم الثانوية من تخصص الزوايا وبعض المدارس وتضمّنت تعلم أحكام القرآن الكريم والمنطق والتاريخ والفقه والتّصوف وعلم الحساب والفلك،³ وقد عدت المدارس بمدينة الجزائر عند دخول الاستعمار إليها بحوالي 100 مدرسة ابتدائية وغير ابتدائية، وقد اختفت بعض هذه المدارس منذ دخول الاحتلال من جراء انعدام الصيانة وبسبب تحويلها إلى مصالح عمومية.⁴

وفي سنة 1830م كان عدد الأمية في أوساط المجتمع الجزائري قبل الاحتلال الفرنسي قليلاً⁵ ، وكانت اللغة العربية لغة الحديث منذ قرون ودراستها بطريقة جادة، وأول من عهد إليه الفرنسيين بتدريس اللغة العربية للأوربيين في الجزائر هو جوني فرعون وكان أول أستاذ للغة العربية في الجزائر في العهد الفرنسي وقد ألف عدة كتب لتلاميذه وكون منهم معربين

1- مصطفى الأشرف، الجزائر الأمة والمجتمع، ترجمة حنفي بن عيسى، دار القصبية، الجزائر، 2007، ص201.
2- عبد المالك مرتاض، نهضة الأدب المعاصر في الجزائر (1923-1954م)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1983، ص20.
3- عبد الحميد زوزو، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1900، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2009، ص219.
4- عبد المنعم قاسمي حسني، دور الزوايا والطرق الدينية في محاربة الاحتلال الفرنسي في الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص20.
5- عثمان سعدي، عروبة الجزائر عبر التاريخ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ط2، ص94.

بارتازان Berthezene في صف الجيش الفرنسي مثل لامورييسر "De – Lamoricière"،
وبيليسي " Pellissier " ودوما "Daumas".¹

وتأزمت الحالة الصحية في الجزائر بتفشي الأمراض والأوبئة بين السكان، ويعود ذلك
لسوء الحالة الصحية وانتقال العدوى وانتشار الأمراض من الأقطار المجاورة، وذلك نتيجة
صلة الجزائر بعالم البحر الابيض المتوسط.²

وقد منع الجزائريين من أداء فريضة الحج خوفاً من انتقال العدوى إليهم، وبذلك ظل الوضع
الصحي جيداً خلال سنوات من 1827م إلى 1830م، التي عرفت نهاية الحكم العثماني للجزائر
وتحولها بفعل الآلة العسكرية إلى مستعمرة فرنسية.³

لم يكن الوضع الديني خلال فترة الاحتلال أحسن حالاً من الأوضاع الأخرى للجزائر فهو كذلك
ساءت حالته حيث تعرضت المؤسسات الدينية للهدم والتخريب كالمساجد والزوايا والجوامع،
وأول مسجد هدم في الجزائر هو جامع (السيدة) عام 1830م.

ركزت إدارة الاحتلال الفرنسي على المؤسسات الدينية لأن هدفها ضرب المجتمع الجزائري،
في اهم ركائزه الأساسية والمتمثلة في الدين الإسلامي، لأن المؤسسات الدينية كان لها دور
كبير في الحفاظ على مقومات المجتمع الجزائري، فالقضاء عليها ينهي معالم كثيرة في المجتمع
منها الثقافية والاجتماعية.

أما الوضع الاقتصادي فكانت الجزائر قبيل الاحتلال تزخر بالمزارع والمراعي، وكان
ريف الجزائر خصب غني بقمحه وخضرواته، واشتهرت الجزائر بتربية الماشية فكانت تصدر
ما يزيد عن حاجتها خارج البلاد.⁴

¹ - أبو قاسم سعد الله، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996، ط2، ص26.
² - أبو قاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث-بداية الاحتلال-، عالم المعرفة، الجزائر، طبعة خاصة، 2009،
ص169.

³ - فلة موساوي القشاعي، الواقع الصحي والسكان في الجزائر أثناء العهد العثماني وأوائل الاحتلال الفرنسي(1871-1514)
أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، 2005، ص163.

⁴ - عبد العاطي جلال، فرنسا في الجزائر، دار ثالثة، الجزائر، 2013، ص13-14.

وكانت الصناعة التقليدية قبيل الاحتلال أحسن تنظيماً، تشهد بذلك مختلف المصادر التي تجمع أن الحرفيين في الجزائر كانوا يجمعون في نقابات حسب التخصص، بحيث نجد النجارين في شارع والحدادين في آخر والصباعين، فالصناعة التقليدية في مدينة الجزائر كانت مزدهرة، خاصة صناعة الأسلحة والذخيرة الحربية وصناعة السفن¹، وبعد الاحتلال الفرنسي للجزائر واهملت الصناعة².

أما التجارة قبل الغزو الفرنسي كانت مزدهرة وكانت الجزائر قبل الاحتلال تقيم علاقات تجارية مكثفة مع إفريقيا وجنوب الصحراء، ومع البلاد العربية وأوروبا الغربية خاصةً تصدر الجزائر التمر والنحاس والخشب والمواد الغذائية الأخرى، كما تستورد من السودان جنوباً الحاصلات السودانية والذهب لتصديرها إلى البلاد الأجنبية، ووفرت التجارة أرباح كبيرة للبلاد.³

أما عن الوضع الاقتصادي فقد شهد نوع من التدهور، أدى إلى ظهور مجاعات وانتشار مختلف الأمراض والأوبئة الفتاكة كالكوليرا⁴، وضياع الثروات المدخرة وبيع العقارات والأراضي تحت الضغوط المختلفة، وما أثر على تفهقر الاقتصاد الجزائري⁵، فبعد احتلال مدينة الجزائر أرغم سكانها على ترك بيوتهم واخلائها لجيش الاحتلال الفرنسي دون تعويض، وتوقفت الأعمال والتجارة وعمت الفوضى والفقر واليأس بين السكان.⁶

1. حمدان بن عثمان خوجة، المرأة، تقديم وتعريب وتحقيق محمد العربي الزبييري، منشورات المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2006، ص 81.

2. محمد العربي الزبييري، تاريخ الجزائر المعاصر دراسة، ج1، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1999، ص 19-20.

3. محمد العربي الزبييري، التجارة الخارجية للشرق الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1972، ص 116.

4. صالح فرкос، المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفنيقيين إلى خروج الفرنسيين (814 ق م-1962 م)، دار العلوم للنشر، عنابة، 2002، ص 210.

5. سيد أحمد نقاز، الأسرة الجزائرية أثناء الاحتلال الفرنسي، مجلة المصادر، العدد 13، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2013، ص 182.

6. عمار عمورة، الجزائر بوابة التاريخ، الجزائر خاصة ما قبل التاريخ إلى 1962، دار المعرفة، الجزائر، 2006، ص 231.

المحاضرة الأولى:

الحركة الاستعمارية الفرنسية واحتلال مدينة الجزائر 1830م.

I- الأطماع الفرنسية في الجزائر خلال القرن 19 م.

عرفت القارة الإفريقية أطماع أوروبية منذ القرن 15م، إلا أن تلك الأطماع كانت محدودة، وفي تراجع أحيانا بفضل ردود الفعل التي كانت تحد من حين لآخر من الوجود الأوربي في السواحل الإفريقية، ولكن أخطر مرحلة استعمارية تعرضت لها إفريقيا كانت خلال القرن 19م.

يرجع التوغل الاستعماري نتيجة دوافع داخلية تتمثل في ضعف وتخلف الذي شهدته هذه البلدان والشعوب، بينما هناك أسباب خارجية، والمتمثلة في المحاولات الأوروبية لاستغلال خيرات تلك البلدان، وهذا ما جعل الدول الأوروبية توجه أنظارها نحو الخارج بعد نهاية النصف الثاني من القرن 19م، للبحث عن الأسواق الخارجية، فاستولت على عدة مناطق¹.

ان الطابع العام للتيار الاستعماري الجديد لم يكن من أجل الهجرة والاستيطان وحسب، كما كان الحال بالنسبة لحركة الكشوف الجغرافية البحرية، وإنما كان الهدف من الحركة الاستعمارية السيطرة والاحتلال، وذلك نتيجة تطور النمو الصناعي، وما صاحبه من تطور في النواحي السياسية والاقتصادية والفكرية، ومن هنا نفهم أن حركة الاستعمار الحديث، كانت

¹ - بوزيان عمر، جذور اتحاد المغرب العربي والجزائر 1832- 1845، منشورات عكاظ، المغرب 1988، ص9.

لها عدة أسباب ودوافع خاصة بعد قيام الثورة الصناعية بغرب أوروبا، فلم تجد هذه الدول الصناعية حلا إلا التوسع لكسب أسواق جديدة خارج أوروبا فتنافست على ذلك¹.

كما كان لقيام الثورة الصناعية وازدهارها تأثير سلبي على الزراعة والإنتاج الفلاحي، فتقلص مردودها في حين زاد الطلب على المعادن، لذلك تسابقت الدول الأوروبية المصنعة للاستفادة من خيرات الدول الإفريقية والآسيوية الطبيعية والبشرية².

ومن بين هذه الدول الأوروبية، فرنسا ففي إطار مخطتها الاستعماري، قامت بتنظيم حملة عسكرية لاحتلال الجزائر، فخلقت لذلك مبررات ودوافع لتحقيق هدفها، باعتبار الجزائر ذات موقع استراتيجي هام في سواحل البحر الأبيض المتوسط³.

وكان هدف السلطات الفرنسية هو الحصول على قاعدة بشمال إفريقيا، واستخدامها كمركز للتوسع ومراقبة الطرق التجارية المتجهة إلى الشرق، واستغلال خيرات البلاد الطبيعية وفتح سوقا جديدة لبضائعها⁴، وهو ما كان سيمكن فرنسا من إنشاء إمبراطورية كبرى بعدما فشل نابليون الأول⁵، لتحقيق ذلك المشروع في أوروبا، أما شارل العاشر "Charle10" فقد اعتبر الجزائر بابا يفتح في إفريقيا لنشر المسيحية، فحاول إيجاد أعذار لاحتلال الجزائر فكانت حادثة المروحة المفتعلة والمدروسة في سنة 1827م، مبررا غير منطقي، وحجة استخدمتها السلطات الفرنسية لتنفيذ مشروعها الاستعماري في الجزائر.

¹ - زاهر رياض، استعمار إفريقيا، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1965، ص109-110.

² - يحي بوعزيز، الاستعمار الأوروبي في إفريقيا وآسيا والجزر والمحيطات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1988، ص10.

³ - محمد العربي الزبيري، مقاومة الجنوب لاحتلال الفرنسي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1972، ص8.

⁴ - طونا فكري، ترجمة ما ورد في البنديين المتعلقين بأوجاق غرب الجزائر مما تناولته الجريدة الباريسية، مجلة التاريخ، العدد 19، الجزائر، 1985، ص198.

⁵ - نابليون الأول: (نابليون بونابارت) من الزعماء الفرنسيين ظهر مع الثورة الفرنسية وأمن بمبادئها وأهدافها وأصبح قنصلا لفرنسا ثم إمبراطورا، ولد سنة 1769م، وفي عام 1793م عين قائدا للمدفعية في حصار طولون، ينظر: سيدهم فاطمة الزهراء، العلاقات الجزائرية الفرنسية ما بين 1790-1830م، دار كوكب العلوم، الجزائر، ط1، ي2013، ص61.

اضطرت الحكومة الفرنسية أمام هذه الأزمة الخطيرة التي عاشتها خلال هذه المرحلة الصعبة في تاريخها، إلى تدعيم أوامر الصداقة مع الجزائر، وسعت إلى المحافظة على الامتيازات التي حصلت عليها قصد التغلب على مشاكلها خاصة الاقتصادية ومشكل المواد الغذائية.¹

2-العلاقات التجارية الجزائرية الفرنسية :

استفادت فرنسا من عدة مؤسسات تجارية بالمدن الساحلية الجزائرية مثل عنابة، القل، القالة، يمارس فيها التجار الفرنسيون مختلف الأنشطة الاقتصادية، ويتمتعون بتسهيلات منحها لهم السلطات العثمانية بالجزائر، وقد وصلت هذه العلاقات إلى ذروتها في 1789م أثناء الثورة الفرنسية، من خلال اعتراف إيالة الجزائر بالجمهورية الفرنسية، وفي وقت كانت فيه فرنسا تحت حصار أوروبي محكم، وتطورت العلاقات بين البلدين إلى درجة أن منحت الجزائر الحكومة الفرنسية عدة مرات قروضا بدون فوائد لشراء الحبوب، كما سارعت حكومة الجزائر إلى فتح الموانئ الجزائرية أمام التجار الفرنسيين بعد أن أغلقت في وجههم الأسواق الأوروبية، كما أبدى الداوي حزما وصرامة في الوفاء بجميع التزامات الجزائر نحو فرنسا، خاصة فيما يتعلق بالحبوب التي كانوا في أمس حاجة إليها.²

لم يكن دعم الجزائر لفرنسا مقتصرًا على الحبوب الغذائية والقروض المالية، فحسب بل شمل أيضا الدعم السياسي، ولم تتوتر هذه العلاقات سوى بعد إلا عند مجيء نابليون بونابارت، إلى الحكم سنة 1792م، ومسارة الباب العالي إلى الضغط على حكومة الإيالة لقطع علاقاتها مع فرنسا وإعلان الحرب عليها، كما تم غلق مراكز الوكالة الإفريقية في عنابة والقالة وحجز ممتلكاتها في سنة 1794م، أذنت الجزائر للحكومة الفرنسية أن تتمون من موانئ الجزائر عندما كانت الأسواق الأوروبية مغلقة في وجه التجارة الفرنسية.³

¹ - حصلت فرنسا على امتيازات تجارية في الشرق الجزائري بمقتضى معاهدة 1535 المبرمة بين السلطان العثماني سليمان القانوني، والملك الفرنسي فرانسوا الأول وكان الغرض منها السماح للتجار الفرنسيين باستغلال نقطة واحدة من البلاد لصيد المرجان، ينظر: عبد المجيد قدور، النشاط الاقتصادي الفرنسي في الجزائر وتونس خلال العهد العثماني، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 28، جامعة وهران، 2007، ص 269.

² - جمال قنان، العلاقات الفرنسية الجزائرية (1830-1790م)، منشورات ألف صفحة، الجزائر، 2014، ص 4.

³ - أبو قاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث-بداية الاحتلال-المرجع السابق، ص 14.

ساهم التاجرين اليهوديين بكري وبوشناق وشكلا جزءا أساسيا في تطور العلاقات، من خلال تدخلهما في العلاقات بين الجزائر وفرنسا، ووجد هذان اليهوديان جهودهما لتحقيق هدفهما المتمثل في الحصول على أرباح طائلة، وعملا معا على استعطاف الشخصيات الرسمية والأعيان مستعملين في ذلك جميع الوسائل من مساعدات مالية، إلى التجسس في الداخل والخارج.

وبفضل الثقة التي منحت لهما وأحرزا عليها في مختلف المستويات، جمع هذان اليهوديان أموالا كثيرة وشرعا في نقل نشاطهما مركزين جهودهم على الشرق الجزائري لأنه كان أهم مقاطعة في الجزائر من حيث الغنى وازدهار التجارة بنوعيتها الداخلي والخارجي.¹

المحاضرة الثانية:

العلاقات الدبلوماسية الجزائرية الفرنسية.

إن العلاقات الدبلوماسية في عهد الجمهورية الأولى 1792م، وبعد مرور بضعة أيام على تمديد السلم المؤمي بين الجزائر وفرنسا في 29 مارس 1790م، وقع حادثان مهمان:

1- تمثل الحادث الأول في دخول سفينة جزائرية تسوق غنيمة نابليونية مشحونة بالحبوب، كانت قد استولت عليها في أعالي البحر الأبيض المتوسط.

¹ - الغالي غربي، العدوان الفرنسي على الجزائر الخلفيات والأبعاد، دار هوم، طبعة خاصة، الجزائر، 2007، ص 65.

2- وقعت حادثة أخرى تمثلت في مطاردة بحارة من سفينة جزائرية، كانت قد استولت على مركب مشحون بالقهوة والأرز، والتجأت به إلى مرسى طولون وتقدمت السلطات العثمانية بالجزائر باحتجاج شديد ضد هذه الأعمال التي حدثت على مقربة من الحكومة الفرنسية¹.

وفي رسالة بتاريخ 28 سبتمبر 1792م حرص وزير الحربية الفرنسي "دي بورمون" De Bourmont²، إبلاغ السلطات العثمانية بالجزائر بقيام نظام جديد بباريس تأكيدا منه على حسن العلاقات بين البلدين، كما أكد رغبة الجمهورية في تمتين روابط الصداقة التقليدية بين البلدين، وقد صادف ذلك وصول السفينتين الجزائريتين اللتين تم إصلاحهما في ميناء طولون بعد العطب الذي ألحق بهما، وكانت فرصة لتأكيد هذه النوايا الحسنة المتبادلة بين البلدين نظرا للدور الذي كانت تلعبه الجزائر في تموين المناطق الجنوبية من فرنسا بالحبوب³.

فقد أوفدت لجنة الإنقاذ الوطني مبعوثا إلى الجزائر يدعى دوتشي "Doutchy" في 2 نوفمبر 1794م كلف بتنظيم عملية شراء الحبوب من الجزائر، وفي مهمة ثانية تتمثل في السعي من أجل إيجاد حل لقضية الأسرى الفرنسيين الذين كانوا في خدمة الجيش الإسباني في مدينة وهران، استطاع المبعوث الفرنسي إنجاز مهمته بسبب التسهيلات التي طلبها لشراء الحبوب والمواد الغذائية الأخرى والتي كانت فرنسا في حاجة إليها⁴.

وقد ذهب الداوي حسين⁵، في تأكيده على حسن نواياه اتجاه فرنسا، إلى درجة اقتراح تنظيم اتصال مباشر بين الجزائر وفرنسا بواسطة سفينة تعين لهذا الغرض، حيث تقوم فرنسا بتزويده بالأخبار مباشرة، حتى لا تعلق بها الشائعات التي يروجها أعداء فرنسا، واعتبر الفرنسيون هذه الخطوة دليلا على الإخلاص وعمق الصداقة القائمة بين البلدين، رفضت حكومة الجزائر

¹ - سيدهم فاطمة الزهراء، المرجع السابق، ص108-111.

² - P.Azan, Les grands soldats de L'Algérie, P. C. M. C.L,Paris,1930, p15.

³ - سيدهم فاطمة الزهراء، المرجع السابق، ص110-111.

⁴ - سيدهم فاطمة الزهراء، المرجع السابق، ص108-111.

⁵ - الداوي حسين: ولد بمدينة إزمير في سنة 1773م، زاول دراسته العسكرية كجندي بسيط في إسطنبول، وبعد أن أنهى دراسته العسكرية اشتغل بتجارة التبغ، ليجنّد بعد ذلك في صفوف قوات الإنكشارية بالجزائر، حيث أصبح مقربا لدى الداوي عمر باشا، الذي عينه أمينا للإيالة ثم أصبح عضوا في ديوان الداوي، تولى بعد ذلك الحكم في الجزائر بتوصية من عمر باشا في فبراير 1818، وبعد استسلامه للفرنسيين في جويلية 1830، اختار الانتقال إلى مدينة ليفورنو الإيطالية التي مكث بها حوالي ثلاثة سنوات، انتقل بعدها إلى مدينة الإسكندرية التي استقر بها إلى غاية وفاته في سنة 1838م. ينظر: أبو قاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1992، ص 88.

العروض التي تقدمت بها إنجلترا واسبانيا لدخول الصراع إلى جانبها ضد فرنسا، بسبب العلاقة الجيدة التي كانت تربط بين فرنسا والجزائر سنة 1791م (حينما أقرض الداي حكومة الجمهورية الفرنسية أموالاً دون فائدة بقيمة مليون فرنك فرنسي لشراء الحبوب من الجزائر).

1

كما سعت وحرصت على ألا يلحق بمصالح فرنسا في الجزائر أي ضرر من قبل أعدائها، وحماية سفنها من اعتداء الإسبان والانجليز في سواحل الجزائر، في ظل التسهيلات والمساعدات المختلفة التي كانت تقدمها الجزائر في مثل هذه الظروف الصعبة التي تجتازها فرنسا، لجأت باريس إلى تسييس المعاملات التجارية التي تتم مع التجار اليهود وتمتتع عن تسديد الديون لهؤلاء، التي على الخزينة الفرنسية الناجمة عن الصادرات من الحبوب التي كانوا يزودون بها فرنسا أيام أزمته الخانقة.

بدأت الخلافات تميز العلاقات الفرنسية الجزائرية منذ النصف الثاني من سنة 1797م، بسبب سوء تصرف القنصل "جون بون سانت أندري"، والموقف الذي اتخذته السلطات الفرنسية اتجاه التجارة البحرية الجزائرية، وقضية الديون التي على الخزينة الفرنسية.²

1- العلاقات الدبلوماسية في عهد ملكية آل بوربون:

استطاعت فرنسا في عهد الملك لويس الثامن عشر "Louis XVII" ملك فرنسا، أن تدفع الغرامة الحربية وأقنع الحلفاء بالانسحاب من فرنسا بعد ثلاث سنوات من الاحتلال، بسبب الظروف التي عاشتها فرنسا لم يستطع القنصل الفرنسي أن يلتحق بمنصبه الذي عين فيه بتاريخ 28 أوت 1815م إلا في شهر فبراير 1816م، وكان هذا القنصل قد زود بتعليمات تستهدف إعادة العلاقات الحسنة بين البلدين، كما كانت عليه في السابق وتسوية كل الخلافات التي نشبت بين البلدين في عهد نابليون الأول وتصفية ديون بكري وبوشناق في أقرب الآجال، والعودة بالعلاقات إلى حالة الصداقة التقليدية، إلا أن المؤامرة البريطانية ضد الجزائر أدت بالعلاقات بين البلدين إلى القطيعة والتي نجم عنها قصف العاصمة بالقنابل وحرق الأسطول

¹ - عمورة عمار، المرجع السابق، ص273.

² - سيدهم فاطمة الزهراء، المرجع السابق، ص111- 112.

في الميناء في أواخر شهر أوت 1816م¹ من قبل القنصل اكسمونت "Exmouth"² الذي استعمل الخديعة.

إن هذا الاعتداء جعل الجزائر في حل من تعاقدها مع البريطانيين، واستغل الفرنسيون هذا الظرف وسارعوا لاسترداد هذا الامتياز، كما عمد القنصل دوفال "Duval" منذ سنة 1820م إلى العمل من أجل زعزعة القواعد والأسس التي ارتكزت عليها العلاقات الجزائرية الفرنسية منذ أمد بعيد وخاصة ما تؤكدته الاتفاقية المئوية لسنة 1790م.³

كما تبني القنصل دوفال في مراسلاته موقف الرفض المطلق بالاعتراف باستقلال الجزائر وسيادتها، إضافة إلى ذلك نجد أن الحكومة الفرنسية ماطلت ورفضت دفع ما عليها من الديون، التي وافقت عليها بعد معاهدة 1817م معللة ذلك بنقص التبادل التجاري، ولجأت مع إنجلترا إلى ممارسة ضغوط عسكرية جديدة على الجزائر، وتأخر تطبيق مبدأ العودة إلى نظام الامتيازات إلى سنة 1822م لصالح شركة بارنيط بمرسيليا، وقد استعمل الفرنسيون قضية ديون بكري وبوشناق حينما عارضوا تسوية الديون وأقروا تخفيضها من 17 مليون إلى 7 ملايين، وقد أثيرت اعتراضات على ذلك في باريس وتم حجز جزء من الدين بسبب ذلك.⁴

عرفت العلاقات الدبلوماسية بين الجزائر وفرنسا حالة تأزم وتوتر حاد خلال القرن 19م، بعد تدخل اليهوديان بكري وبوشناق في المسائل السياسية التي تربط العلاقات السياسية بين السلطات العثمانية في الجزائر والسلطات الفرنسية بباريس، مستغلة فرنسا تلك الأوضاع الخارجية خدمة لمشروعها الاستعماري ومحاولة خروجها من أزمتها الداخلية ومشاكلها الاقتصادية والاجتماعية، لذا كانت ترى الحل في تلك الأزمة الخارجية وخاصة الظروف التي كانت تعيشها الجزائر خلال هذه المرحلة بعد تراجع القوة العثمانية في حوض البحر الأبيض المتوسط.

¹ - وليام سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب عبد القادر زبادية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980، ص191.

² - اكسمونت: قائد قوات البحرية الإنجليزية ضد الجزائر في البحر الأبيض المتوسط في أبريل 1816م، ينظر: يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، ج2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999، ص 110.

³ - صالح عباد، المرجع السابق، ص 155.

⁴ - سيدهم فاطمة الزهراء، المرجع السابق، ص127.

المحاضرة الثالثة:

علاقة الجزائر مع أمريكا والدول الأوروبية خلال فترة حكم الدايات.

عرفت الجزائر خلال فترة الحكم العثماني كقوة بحرية، وذلك نتيجة قوة الأسطول البحري قوي خلال ثلاث قرون، وكان هذا الأسطول مسيطرا على كامل غرب البحر الأبيض المتوسط، وهذه البحرية فرضت نفسها على الدول الأوروبية والدول الغربية بما في ذلك أمريكا، وكانت الدويلات الأوروبية مثل الدويلات الإيطالية تدفع الجزية للجزائر لخلق صداقة معها، ولتحافظ على تجارتها.¹

1.الجزائر وأمريكا:

عبر جورج واشنطن (George. Washington)² في فيفري 1792م ، عن رغبته في إقامة علاقات دبلوماسية وتجارية مع إيالة الجزائر، وقامت كلا من الولايات المتحدة الامريكية والجزائر في 5 سبتمبر 1795م، بالتوقيع على معاهدة سلام وصداقة واحتوت على ما يلي :

- يصرح للسفن الأمريكية بممارسة التجارة مع الجزائر مقابل دفع الرسوم المعتادة، وتعفى الأدوات البحرية والحربية من هذه الرسوم، إن النزاع بين الجزائريين والأمريكيين من اختصاص الداوي، أما بين الأمريكيين فينظر فيه القنصل الأمريكي، ويتمتع القنصل الأمريكي بالتأمين التام على حياته وله الحرية المطلقة في إقامة شعائره الدينية.³

¹ - أبو القاسم سعد الله، أبحاث وراء في اريخ الجزائر، القسم الأول، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1981، ص248.

² - جورج واشنطن: هو رجل سياسي ولد عام 1732م، وأول رئيس للولايات المتحدة الأمريكية ما بين (1797-1789م)، توفي سنة 1799م، ينظر: محمود باشا محمد، ذريعة المروحة 1827م أو الاستيلاء على إيالة الجزائر، ترجمة عزيز نعمان، دار الأمل، 2010، ص29.

³ - سلوى سعد الغالبي، العلاقات العثمانية الأمريكية 1830-1918م، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2002، ص 30.

وكذلك من خلال بعض المواد منها:

- **المادة الرابعة:** " يكون بحوزة طواف السفن الجزائريون جوازات سفر يمنحها إياهم قنصل الولايات المتحدة".

- **المادة التاسعة:** " تحظى السفن الحربية التابعة للولايات المتحدة الأمريكية باستقبال في مدينة الجزائر مع الترحيب المعهود".

- **المادة الثانية وعشرون:** " في حالة حصول نزاع، لا يتم الإعلان عن الحرب حتى تستنفذ كل الوسائل المصالحة"¹.

أبرمت السلطات العثمانية في الجزائر مع الولايات المتحدة الأمريكية ثلاث، معاهدات صلح وصداقة أبرزها معاهدة 05 سبتمبر 1795م والمعاهدة الثانية في جوان 1805 والمعاهدة الثالثة، في ديسمبر 1805م أصدرت الحكومة العثمانية في الجزائر مرسوما يقضي الاعتراف بشرعية الثورة الأمريكية واستقلالها سنة 1776م.²

عرضت الولايات المتحدة الأمريكية على داي الجزائر ان تدفع له النقود بدلا من المعدات الحربية العسكرية خلال حربها مع بريطانيا نتيجة لنقص مدخراتها الحربية، ولكن الداي رفض ذلك وأعلن الحرب عليها من جديد، وبعد أن وقعت السلام مع بريطانيا، ظهرت أمريكا بقوة بحرية وأرسلت أسطولها أمام مدينة الجزائر سنة 1815م، وبذلك أصبحت العلاقات الجزائرية الأمريكية عادية، وبقيت إلى غاية الاحتلال الفرنسي.

2-الجزائر والدول الأوروبية:

أ-الجزائر وبريطانيا:

تعتبر العلاقات بين الجزائر وبريطانيا قديمة ومعقدة، وأكثر تأثيرا من علاقة الجزائر مع الولايات المتحدة الأمريكية، لأن كلا الدولتين كانا قوة بحرية، فأهمية الجزائر الجغرافية

¹ - محمود باشا محمد، المرجع السابق، ص 37.
² صغيري سفيان، العلاقات الجزائرية العثمانية خلال عهد الدايات في الجزائر (1671-1830م)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف حسينة حماميد، جامعة باتنة، 2011-2012، ص 105-106.

والسياسية والتجارية، قد جعلت بريطانيا وفرنسا تتنافسان بشأنها، ولكن الجزائر قد تعاملت مع كليهما واستفادت من هذه المنافسة.

تمتعت بريطانيا بامتيازات خاصة من الجزائر بينما كانت فرنسا في حرب بأوروبا في عهد نابليون الأول، وبعد مؤتمر فيينا خرجت بريطانيا منتصرة وهاجم أسطولها الجزائر في البحر الأبيض المتوسط دون استشارة الحكومة، واستأنف البريطانيون علاقاتهم مع الجزائر وواصلوا تأييدهم القوي لها ضد فرنسا، خاصة بعد تصدع العلاقات الجزائرية الفرنسية في سنة 1827م.¹

تباينت العلاقات بين الجزائر والدول الأوروبية، فبعض هذه الدول كانت تدفع الجزية إلى الجزائر، بحيث تدفع لها كمية من النقود أو تتعهد بحماية السفن الجزائرية في موانئها، وتؤمن خطوط مواصلاتها البحرية، وهذه الدول الأوروبية تشمل إسبانيا والبرتغال وهولندا.

ب- إسبانيا:

ظلت العلاقات الجزائرية الإسبانية مضطربة، وقد فرضت الجزائر شروط على إسبانيا خلال ثلاثة قرون من الزمن²، رغم تدخل بعض الدول كبريطانيا وفرنسا ممثل في نابليون الأول، وكذلك برغم المحاولات الإسبانية لمحاصرة الجزائر³.

ج- البرتغال:

اتبعت البرتغال نفس السياسة الإسبانية في علاقتها مع الجزائر، لأن البرتغال كانت أضعف وأقل تبعية لحليفها، وكذلك اضطرت لدفع جزية سنوية إلى الجزائر، وكان بعض البرتغاليين أسرى في الجزائر سنة 1810م حوالي 615 سجين، فتوسطت بريطانيا إلى وضع خطة لتحريرهم، وذلك من خلال دفع البرتغال للجزائر فدية، لأن البرتغال كانت تصارع من أجل وجودها السياسي⁴.

1- أبو قاسم سعد الله، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج1، المرجع السابق، ص 250-251.
2- يحي بوعزيز، المراسلات الجزائرية الإسبانية في أرشيف التاريخ الوطني لمريد 1870-1898، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993، ص22.
3- أبو القاسم سعد الله، أبحاث واءاء في تاريخ الجزائر، ج1، المرجع السابق، ص251.
4- احمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، المكتبة العربية، الجزائر، 1350هـ ص56.

د- هولندا:

عرفت العلاقات الجزائرية الهولندية فترة سلم قبل سنة 1617م¹، سرعان ما تغيرت العلاقات حيث شنت هولندا عدة غارات على الجزائر أهمها سنة 1816²، تلتها معاهدة سلم 1816 فرضت على هولندا دفع اتاوة تقدر 600 ليرة فرنسية³، تكمن العلاقة بين هولندا والجزائر في دفع الجزية إلى الجزائر دون خرق للمعاهدات، ورغم ذلك احترم الجزائريون تلك الدول نظرا لسياستها وطابعها الدولي⁴.

عرفت العلاقات الجزائرية الدنماركية فترة سلم بخصوص التجارة والقرصنة في البحر الأبيض المتوسط⁵، باعتبارها قوة بحرية، فعقدت معها معاهدة سنة 1746م، تغيرت السياسة الدنماركية تجاه الجزائر فشنت عليها غارات بحرية أهمها الحملة الأولى بقيادة الاميرال دي كاسي (Decases) في 01 جوان 1770م والحملة الثانية سنة 1771 بقيادة الاميرال هوغلاند (Hegland)، اضطرت بعدها لعقد معاهدة جديدة مع الجزائر في ماي 1772م ، وفي سنة 1814م انضمت للحلف السباعي الأوروبي⁶.

المحاضرة الرابعة:

خلفيات الاحتلال الفرنسي للجزائر.

- الوضع الداخلي في الجزائر.

تعتبر الأوضاع الداخلية للجزائر قبيل الاحتلال الفرنسي للجزائر من الدوافع الحقيقية لنجاح الحملة الفرنسية على الجزائر وعملية الاحتلال وذلك لعدة أسباب أدت الى ضعف المنظومة الدفاعية للأسطول البحري في البحر الايض المتوسط وذلك نتيجة الضعف الداخلي، وما كانت

¹ - فتيحة صحراوي، المرجع السابق، ص165.

² - مولود قاسم نايت بلقاسم، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830، دار الامة، الجزائر، 2007، ص116.

³ - فتيحة صحراوي، المرجع السابق، ص 165.

⁴ - أبو قاسم سعد الله، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج1، المرجع السابق، ص252-253.

⁵ - صالح عباد، المرجع السابق، ص155.

⁶ - مولود قاسم نايت بلقاسم، المرجع السابق، ص 100-102.

تعاين السلطة العثمانية في الجزائر في منظومتها السياسية والإدارية والمشاكل التي أدت الى زيادة ذلك التقهقر ومن بين هذه الأسباب الداخلية هي:

شهدت الجزائر خلال العهد العثماني مجموعة من الأوبئة اثرت على صحة السكان، ومن أهمها:

- وباء 1740: دام ثلاث سنوات هلك منه الاف من السكان، وكذلك وباء 1786-1787، أدى لهلاك حوالي 16721 شخص، والوباء سنتي 1792-1798 الذي ضرب وهران والجزائر وقسنطينة، ووباء 1817-1818 الذي قضى على أكثر من 14000 شخص¹.

وكذلك عرفت الجزائر المجاعات أواخر العهد العثماني من بينها مجاعة 1752م التي ستمت مدة أربع سنوات قضت على 1700 شخص في مدينة الجزائر، ومجاعة 1778م-1779م، ومجاعة 1787-1789م. الى جانب مجاعات سنوات 1800-1807-1816-1819 أضرت هذه المجاعات بالحالة الصحية والمعيشية للسكان².

وقد شهدت الجزائر مع نهاية القرن 18 وبداية القرن 19م حركات عصيان وتمرد، نتيجة الإجراءات الجبائية التعسفية من طرف السلطة العثمانية وهذا ما أدى الى عدة اضطرابات أهمها:

- تأزم نظام الدايت وتكرر الاغتيالات³، وانتشار الفوضى الناتجة عن تجاوزات الحكام العثمانيين وتمرد العديد من القبائل الجزائرية⁴.

- تهميش السكان المحليين الجزائريين من كل المناصب الحكومية والإدارية والعسكرية، واقتصر تولي هذه المناصب الحساسة من طرف العثمانيين وبعض الكراغلة⁵.

¹ - ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية دراسات وابحاث في تاريخ الجزائر العهد العثماني، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص562.

² - صالح العنتري، مجاعات قسنطينة، تحقيق رابح بونار، الشركة لوطنية للنشر، الجزائر، 1974، ص35.

³ - ناصر الدين سعيدوني، عصر الأمير عبد القادر، دار البصائر، الجزائر، 2012، ص114.

⁴ - صالح فركوس، الحاج احمد باي قسنطينة 1826-1850م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009، ص14.

⁵ - حنفي هلايلي، العلاقات الجزائرية الأوروبية ونهاية الإيالة 1815-1830م، دار الهدى، الجزائر، 2007، ص11-12.

- احتكار اليهود تجارة القمح¹.

- غياب العنصر الجزائري في الجيش فكل فئات الجيش من رس البحر والجيش الإنكشاري مشكل من عثمانيين من جنسيات مختلفة².

- قيام عدة ثورات ضد الحكم العثماني في الجزائر أبرزها:

- **انتفاضة ابن الاحرش**: تنسب هذه الانتفاضة لمحمد بن عبد الله الشريف الملقب بالبودالي الذي قاد الانتفاضة بمنطقة الشمال القسنطيني في عهد الداوي مصطفى باشا (1798-1805)، أعلن ابن الاحرش القضاء على سلطة البايلك وأمر مهاجمة الحاميات العثمانية، خضعت له منطقة القل وانسحبت القوات العثمانية من مدينة عناء عندما علمت بهجوم ابن الاحرش، ولكن أمر بالتوجه نحو قسنطينة للاستيلاء على مركز البايلك في ظل غياب الباي عثمان الذي توجه لجمع الضرائب من المناطق الغربية للبايلك³، هاجم ابن الاحرش مدينة قسنطينة في سنة 1804م وحاول تنظيم صفوفه وضرب الخناق على المدينة، ولكن في ظل المقاومة والاضطرابات تراجع ابن الاحرش وقواته⁴.

- **انتفاضة درقاوة**: تنسب هذه الانتفاضة الى عبد القادر بن الشريف المعروف بابن الشريف الدرقاوي⁵، تعتبر هذه الانتفاضة من اكبر الثورات ضد العثمانيين في الجزائر⁶، أعلن الشريف الدرقاوي الثورة ضد السلطة لعثمانية في ولاية مصطفى باي الأول⁷، حيث هزم جيش الحامية العسكرية الانكشارية في معركة فرطاسة قرب غليزان في سنة 1805م وسيطر بعدها على الريف الوهراني من نواحي مليانة وصولا الى معسكر ومازونة وفرض الحصار على تلمسان

1 - سهيلة علوش، حصن الباستيون الفرنسي والسلطات المحلية في لجزائر العثمانية، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، اشراف قشي فاطمة الزهراء، جامعة قسنطينة، 2005-2006، ص87.

2 - صغيري سفيان، المرجع السابق، ص147.

3 - ناصر الدين سعيدوني، وراقات جزائرية وراقات جزائرية دراسات وابحاث في تاريخ الجزائر العهد العثماني، المرجع السابق، ص312-314.

4 - ناصر الدين سعيدوني، دراسات وابحاث في تاريخ الجزائر الفترة الحديثة والمعاصرة، ج3، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988، ص173-174.

5 - محمد بن عبد القادر، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر، تحقيق ممدوح حقي، مؤسسة الأمير عبد القادر، الجزائر، 2001، ص75-76.

6 - سفيان صغيري، المرجع السابق، ص155.

7 - احمد بن عبد الرحمن الشقراني الراشدي، القول الأوسط لمن حل بالمغرب الأوسط، تحقيق ناصر الدين سعيدوني، دار البصائر، الجزائر، د.ت، ص25.

وهران ومستغانم، وظلت هذه الانتفاضة الى غاية 1818م، بعد هزيمة ابن الشريف ولجؤه الى المغرب الأقصى¹.

-انتفاضة التيجانية:

تنسب هذه الانتفاضة الى محمد الكبير التيجاني²، في سنة 1802 زف ابن الشريف الدرقاوي واستولى على بعض القرى³، تصدى له الباي محمد الكبير وابنه عثمان، ثم جدد حسين باشا الهجوم عليهم بمقرهم عين اضي ولم يرفع الحصار عنهم الا بعد اعلان خضوعهم لسلطة البايلك سنة 1819م، وحاولوا التقدم من جديد نحو الشمال بقيادة شيخ طريقتهم ولكن هزموا في معركة عواجة بسهل غريس سنة 1826م وتمت مطاردتهم حتى مقر تواجدهم بعين ماضي فاضطروا لإعلان خضوعهم ودفعت الضرائب المفروضة عليهم⁴.

إن مؤشرات الهجوم باتت واضحة لكل متتبع من خلال:

- الحصار المفروض على السواحل الجزائرية منذ ثلاث سنوات لقطع الإمدادات.

- رسائل التهديد والإملاءات المهينة لسيادة الدولة⁵.

- الاستفزازات الأوروبية المتكررة في البحر الأبيض المتوسط ضد البحرية العثمانية في الجزائر الراسية بالساحل، مما أدى إلى تجريد القوات البحرية العثمانية بالجزائر من قوتها رمز قوتها وسر تفوقها وسيطرتها بلا منازع على البحر المتوسط⁶، وهذه فرصة بالنسبة للدول التي كانت تتطلع إلى تحطيم كيائها مثل: فرنسا وبريطانيا وإسبانيا، كما أن مؤشرات الخلل داخل أجهزة النظام كانت تصل إلى فرنسا بانتظام بواسطة قنصلها في مدينة الجزائر وتغريها مثل:

1 - ناصر الدين سعيدوني، عصر الأمير عبد القادر، المرجع السابق، ص113.
2 - عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج3، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994، ص291.
3 - محمد بن عبد القادر، المصدر السابق، ص76.
4 - ناصر الدين سعيدوني، عصر الأمير عبد القادر، المرجع السابق، ص116.
5 - عثمان مسعود، الثورة التحريرية أمام الرهان الصعب، ج1، دار الهدى، الجزائر، 2013، ص19.
6 - بوشناق محمد، الداوي حسين وسقوط الايالة الجزائرية 1818-1830، مجلة عصور، العدد 06-07، جامعة وهران، جوان- ديسمبر 2005، ص104.

1. ضعف القيادة العثمانية في الجزائر.

2. الخلاف بين الداوي والجيش الإنكشاري كقوة نظامية.

3. انكشاف الثغور.

4. نقص في التعبئة.

5. ضعف العلاقة بالرعية، وهذه وحدها كفيلة بأن تغري الدولة المهاجمة وتعزز أملها في الانتصار بأقل تكلفة.¹

تعتبر أسباب الهزيمة ليس في تفوق القوات المهاجمة، وضعف وسائل الدفاع من جانب القوات العثمانية في الجزائر، بل إلى الطابع الرسمي لعملية الهجوم والتنسيق الواضح بين السلك الدبلوماسي، المتمثل في قنصلية فرنسا في الجزائر وحكومتهم في فرنسا، من خلال الرسائل المتبادلة حول الموضوع، وإلى الاستراتيجية المتبعة والتخطيط المحكم لموقع الإنزال والتعبئة العامة.

إن اعتبار عملية الهجوم هذه عملاً وطنياً وموقفاً رسمياً صادراً في جانفي 1830م، عن أعلى هيئة في الدولة الفرنسية وموقفاً من قبل الملك وموقفاً من قبل الملك شارل العاشر، في شكل مرسوم بتعيين الكونت "دي بورمون" وزير الحرب قائداً للحملة.²

أخطرت الحكومة الفرنسية بتاريخ 12 مارس 1830م، السفراء الأجانب في باريس بمذكرة رسمية عزمها على توجيه حملة عسكرية ضد الجزائر أنها في صالح لمسيحية³، هذه التقاليد الحضارية لم يكن معمولاً بها في المؤسسات الرسمية بالجزائر العثمانية، فقد كانت القرارات فردية وارتجالية هي السمة المميزة للنشاط الحكومي.

1. عثمانى مسعود، المرجع السابق، ص19.

2. الاغا بن عودة المازاري، طلوع سعد السعود في اخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا الى أواخر القرن التاسع عشر،

تحقيق يحي بوعزيز، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990، ص80.

3. مولود قاسم نايت بلقاسم، المرجع السابق، ص40.

وكانت فرنسا تعرف ذلك من خلال شبكة الجوسسة، التي كان يديرها قنصلها المقيم في مدينة الجزائر وسر التفوق لم يكن عسكريا صرفا، وإنما كان تفوقا حضاريا بامتلاك فرنسا أساليب متطورة ونظم حديثة، يفتقر إليها العثمانيين في الجزائر، وانتهاج طرق حديثة في صياغة القرار وفي التخطيط له وفي التعبئة والتجنيد والتضليل الإعلامي، وسرعة التنفيذ وهذا ما يفتقر إليه الداوي، مما أوقعه في حالة من الارتباك ولم يستفيق من الصدمة، إلا بعد أن اقتربت القوات الفرنسية من أسوار المدينة، فراح يعرض بنفسه شروطا مهينة، غير أن قائد الحملة الفرنسية كان يرفض كل عرض من قبل الداوي ولا يرضى بغير التنازل عن السيادة بديلا.¹

كان الوضع الداخلي للبلاد كله ينبئ بالسقوط فلم تكن هناك أجهزة إنذار، من مناورات معلومة لحراس السواحل ولم تكن هناك فرق متحركة لحراسة السواحل خلال الليل على الأقل، أو نقاط ثابتة في أماكن تصلح للإنزال لإبلاغ السلطة في الوقت المناسب قبل أن ترسخ القوات المهاجمة أقدامها وتتحصن في موقع الإنزال بكل اطمئنان.²

كما تحدث بفايفر عن الخلافات وتوتر العلاقات بين الداوي ووزرائه وبين الداوي والجيش الانكشاري، التي زادت من ضعف المنظومة الدفاعية، من خلال التحدي الذي أظهرته سفينة فرنسية عندما اقتربت من الحامية، واستعداد الداوي للحرب، ويرجع بفايفر وينتقد الداوي في تهاونه بعدم تنظيم وسائل الدفاع عن البر الجزائري واعتداده بقوته البحرية واستهانته في نفس الوقت بقوة فرنسا.³

لم تقم السلطات العثمانية بالجزائر باتخاذ الإجراءات اللازمة لمواجهة قوات الاحتلال الفرنسي من تحصينات وتهيئة الجيش وإعادة تجهيزه وهيكلته، فالوضعية السياسية والعسكرية لم تتأهب لمواجهة الحملة الفرنسية على الجزائر وأخطارها، بعد مدة حصار دامت ثلاث سنوات فالوضع العام كان يؤكد على ضعف المنظومة السياسية والعسكرية للنظام العثماني في الجزائر الذي لم يستطع من إيجاد الحلول الكفيلة للمجابهة ومواجهة القوات الفرنسية.

1- عثمانى مسعود، المرجع السابق، ص20.

2- عثمانى مسعود، المرجع السابق، ص 20-21.

3- بفايفر سيمون، مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر، ترجمة أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1984، ص 114 .

المحاضرة الخامسة:

الاستعدادات الدبلوماسية والعسكرية الفرنسية لغزو الجزائر.

حاولت الدول الأوروبية إيجاد تحالف مشترك فيما بينها، من أجل الاستحواذ على مناطق الشمال الإفريقي ولاسيما الجزائر، بإقامة مؤتمرات دولية من أجل تحقيق أطماعها في المنطقة، وجاء انعقاد مؤتمر فيينا في سنة 1815م ليؤكد رغبة الدول الأوروبية في السيطرة على ممتلكات الدولة العثمانية، غير أن هذه الدول أخفقت في إيجاد تحالف مشترك فيما بينها لتتقاسم التركة، مما جعل فرنسا تفكر في إعادة تكوين إمبراطوريتها الاستعمارية التي انهارت عام 1763م بفقدانها لمستعمراتها في أمريكا الشمالية.

قامت فرنسا باستغلال الظروف الدولية والخلافات التي ظهرت بين دول أوروبا الكبرى، منذ 1815م من أجل تجسيد مشروعها، فكان احتلال الجزائر من أولى مراحل هذا المشروع، فما هي الدوافع التي جعلت الجزائر مستهدفة من قبل فرنسا، حينما قررت إعادة إحياء إمبراطورتها الجديدة¹.

نتيجة للثورة الصناعية والسياسية الرأسمالية التوسعية والتي تتطلب المزيد من الأسواق والمواد الأولية، واليد العاملة الرخيصة لفرنسا في الجزائر أملها وقاعدتها للتوسع الفرنسي في إفريقيا، بعدما طردتها بريطانيا من أمريكا الشمالية²، وبعد دراسة لميزان القوة بين القوة

¹ - دادة محمد، السياسة الاستيطانية الفرنسية في الجزائر، 1852-1870، رسالة لنيل شهادة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف، دحو فغور، السنة الجامعية، 2002-2003، ص 19.

² - سلاماني عبد القادر، الاستراتيجية الفرنسية لإجهاض الدولة الجزائرية الحديثة، دار قرطبة، الجزائر، 2013، ص 05-06.

الفرنسية في تجهيزها وتسليحها وتدريبها، وبين قوات الخلافة العثمانية الذين لم يواكبوا كما سبقت الإشارة الثورة الصناعية وضعفها الصناعي وتخلفها الحضاري والعلمي، ولم يطوروا مؤسساتهم، اتفقت في هذه الظروف فرنسا مع بريطانيا¹، على قبول هذه الأخيرة احتلال فرنسا للجزائر مقابل أن تسمح فرنسا لبريطانيا بضم سكان الوالون (Wallons) الناطقين باللغة الفرنسية في شمالها، إلى سكان الفلامان (Flamnds) ، لتكوين دولة بلجيكا².

كما سعت فرنسا في استعداداتها الدبلوماسية العسكرية للغزو لدى الخلافة العثمانية، بعدم تدخلها في قضية تأديب داي الجزائر الذي أهان حسب زعمهم قنصلها، كما ضمنت سكوت ورضا الإمبراطورية الروسية القيصرية والإمبراطورية النمساوية بعدم تدخلها في عملية انتقام فرنسا لشرفها، وهذه العملية قد أسعدت الإمبراطوريتين لأنها تضعف الخلافة العثمانية العدو التقليدي للبلدين، بالإضافة إلى مباركة البابا للحملة وتوفير المساعدات اللوجيستية للبحرية الفرنسية في طريقها إلى الجزائر، إلى جانب قبول إسبانيا ومساندتها للحملة واعتبرتها انتقاما لها من طردها من وهران أثناء تحرير المرابطين من الاحتلال الإسباني الثاني، كما أجرت مفاوضات مع محمد علي لمساندتها في الحملة مقابل إغراءات توسعية، ويدل ذلك على اللامبالاة للوجود الشرعي العثماني بالجزائر، ولا بمشاعر شعبها .

إن اهتمام فرنسا بالجزائر إذن يعود إلى عهود، بدأت مع الامتيازات التي منحها السلطان العثماني "سليم الأول" للفرنسيين المتمثلة في حق اصطياد المرجان في السواحل الشرقية، وإقامة مركز تجاري بالقالة³، ولكي تحافظ فرنسا على مراكز نفوذها قامت بإبرام عدة اتفاقيات مع الجزائر، وقامت بإعداد عدة مشاريع أوصلتها للاستعمار الكلي للبلد، نذكر من أهمها :

"مشروع ديكارسي" "Dekercy"⁴ الذي وضعه عام 1791، ويتمثل مشروعه في إرسال حملات برية تنزل بشبه جزيرة سيدي فرج للقضاء على حكومة الداوي، والاستيلاء على كنوز الداوي من أجل تعويض نفقات الحملة، ولكن ظروف فرنسا، لم تسمح بتنفيذ هذا المشروع

1- نفسه، ص.335-336.

2 - Ch. Vandermotten , La crise de l'état belge, Echo Geo ,sur le vif, ed. Open,belgique,2007,p.03-04.

3- وليام سبنسر، المصدر السابق، ص170.

4- محمد بن مبارك الميلّي، تاريخ الجزائر القديم والحديث، الجزء الثالث، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، 1964، ص222.

حيث كانت تعاني من المجاعة وقلة موارد العيش، فاستنجدت بالجزائر التي قدمت لها مساعدات مادية جعلتها تتجاوز تلك الأزمة¹.

أما مشروع نابليون الأول الاحتلالي فكان يقوم على الحد من النفوذ الإنجليزي في إطار التنافس الاستعماري بين القوتين، فوجه رحلات استكشافية تجسسية للتعرف على أحوال البلاد في جميع الميادين، وقاموا برسم خرائط جغرافية للمنطقة وجمعوا عنها معلومات هامة، كان التفكير لاحتلال الجزائر قد ظهر في مشاريع عدوانية، ففي شهر 3 جويلية 1797 نشر تاليران "Talirane"، وزير خارجية فرنسا دراسته، وقد نص في رسالته إلى أهمية الاستيلاء على شواطئ المغرب العربي، وفي عام 1799م، قام القنصل الفرنسي السابق في الجزائر جونبون سانت أندري "Jeanbon St André"، بإعداد مشروع لاحتلال الجزائر جاء فيه أن عملية الاحتلال لن تدوم سوى ثمانية أيام وذلك باستعمال المباغثة وضرب العدو بسرعة في الصميم².

وفي عام 1802م وفي الإطار نفسه، أعد ضابط العلاقات التجارية الفرنسية تيدينا "Thedinat" مشروعا لاحتلال البلاد، تضمن إنزال العساكر الفرنسية في مدينة تنس، ثم الزحف عبر سهول ومرتفعات مليانة على مدينة الجزائر³.

وقد تم توجيه المهندس العسكري الضابط بوتان "Boutin"⁴ للنزول في سيدي فرج 1808، لضبط خريطة مفصلة عن أحسن موقع تنطلق منه قوات الاحتلال⁵، وطلب منه تحقيقا ميدانيا والخروج بخطة وبأقل التكاليف، وفي ظرف 68 يوم تمكن من جمع معلومات كافية عن البلاد، ونظرا لاعتبارات سياسية خطيرة بسبب انشغال نابليون الأول بالحروب الأوروبية، تأجلت عمليات الاحتلال إلى حين تدهور العلاقات الفرنسية الجزائرية، وافتعال فرنسا قضية الديون،

¹ - قنان جمال، معاهدات الجزائر مع فرنسا، (1619، 1830)، الشركة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987، ص 185.

² - L.Bejaud, Boutin Agent secret de Napoléon 1er et précurseur de l'Algérie Française, Frédéric Chmperiard, 1950, P88.

³ - Ch. Rousc, France et Afrique du nord avant 1830. Les persécuteurs de la conquête, Paillart, Paris, 1932, p411-423.

⁴ - بوتان: ولد في 01 جانفي 1772م في قرية صغيرة تدعى لورو بورتو تلقى تربية دينية مسيحية اشترك في العديد من الحروب خاضتها الثورة الفرنسية، عين كنيقوب وتوفي عن عمر يناهز 73 سنة، ينظر: بنور فريد، المخططات الفرنسية تجاه الجزائر 1782-1830، مؤسسة كوشكار للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008، ص355.

⁵ - L.Bejaud, op.cit, p90.

والتي انتهت بحادثة المروحة في 27 أبريل 1827م بين الداوي حسين والقنصل الفرنسي دوفال¹.

ومن بين المشاريع الهامة التي استعملتها فرنسا في مشروعها لاحتلال الجزائر، مشروع "محمد علي" حاكم مصر، مقابل مبالغ من الأموال والعتاد الحربي "حوالي عشرة ملايين فرنك"، وهو المشروع الذي رفعه القنصل الفرنسي في مصر "دروفتي" "Drovetti" عام 1826م²، وفي 7 فبراير وافق الملك الفرنسي شارل العاشر على مشروع احتلال الجزائر رسمياً، وأعلن في خطاب له أمام الجمعية الوطنية الفرنسية في 2 مارس 1830م، بأن التعويض الهائل الذي يريد الحصول عليه وهو يثار لشرف فرنسا أنه سيتحول بمعونة الله لفائدة مسيحية³، فكيف تم ذلك؟ وما هي النتائج المترتبة عن هذا المشروع؟

إن القادة الفرنسيين كانوا منذ زمن بعيد يخططون لاحتلال الجزائر، وخاصة بعدما فقدت فرنسا إمبراطوريتها الاستعمارية في الفترة النابوليونية، فكان ذلك ينبئ بظهور حركة استعمارية توسعية جديدة تبدأ من احتلال الجزائر لاستغلال خيراتها، وتعميرها بسكان أجنبي. وفي تقرير قدمه تاليران إلى المجمع العلمي الفرنسي، يقترح على حكومته احتلال الجزائر وجعلها مستعمرة نموذجية من أجل إنشاء إمبراطورية فرنسية فيما وراء البحر المتوسط، وسار على نهجه العديد من قادة الجيش الذين اقترحوا إرسال مزارعين فرنسيين للجزائر قصد استعمارها والاستفادة من مواردها الطبيعية والبشرية⁴، كما شجع الضعف الذي أصاب الجزائر استخدام أهميتها التجارية لصالح اقتصاد فرنسا، التي كانت تعيش مرحلة انتقالية، من مرحلة ما قبل الرأسمالية، حيث كانت تعتمد على تراكم الأموال من خلال العمليات التجارية التي تتداولها عبر العالم، إلى مرحلة الرأسمالية التي تتطلب استثمار رؤوس الأموال، والبحث عن مواد أولية وأسواق لتصريف فائض الإنتاج الصناعي، ونظراً للعلاقات التجارية

¹ G. Esquer, La prise d'Alger 1830, éd. Larousse, Paris, 1929, p6.

² إسماعيل العربي، العلاقات الدبلوماسية الجزائرية في عهد الأمير عبد القادر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص 253.

³ محمود إحسان الهنداوي، الحوليات الجزائرية، العربي للإعلان والنشر والتوزيع، دمشق، 1977، ص 84.

⁴ يحي بوعزيز، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، ج 1، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2004، ص 518.

التي كانت بين فرنسا والجزائر زادت الأطماع الفرنسية بالجزائر، أكثر من بقية الدول الأوروبية الأخرى، بغية استغلال خيراتها وثرواتها الطبيعية، كما عملت على إيجاد كل السبل للانفراد بالجزائر وتعويض ما فقدته من مستعمرات¹.

تعتبر أهمية الجزائر الطبيعية والاقتصادية من أهم أسباب الأطماع الأوروبية الدول الاستعمارية الأوروبية²، خاصة وأن كلا من فرنسا وإنجلترا والتي كانتا على علم بضعف الدولة العثمانية وممثليها بالجزائر، ولهذا كانت هاتين الدولتين تنتظران الوقت المناسب لاحتلال الجزائر، وهناك عدة أسباب سعت فرنسا لتحقيقها لاحتلال البلاد وفق أسس وغايات دينية، تعكس النزعة الصليبية وامتداد النزاع المسيحي الإسلامي في البحر المتوسط.

ومن الأسباب التي عجلت باحتلال الجزائر هو ضعف الأسطول البحري العثماني وعدم تجديد قوته وسلاحه³، إلى جانب ارتفاع ديون فرنسا بسبب الأزمة الاقتصادية إلى 22 مليون فرنك قديم، ورغبت بتعويض ذلك باحتلال الجزائر لتجعلها موطناً لفائض سكانها، ومورداً لليد العاملة الرخيصة وسوقاً لمنتجاتها الصناعية، وكانت من أهدافها السياسية للاحتلال: كسب الرأي العام الفرنسي، وأصوات المعارضة في البرلمان الفرنسي، كما كانت ترغب من هذا المشروع الاحتلال محاربة الإسلام ونشر المسيحية وتنصير الشعب الجزائري والقضاء على هويته وكرامته وعزته وعروبه⁴.

إضافة إلى الموقع الاستراتيجي للجزائر الهام من تضاريس ومناخ التي تمنح للإنسان ظروف مناسبة للعيش، تتوسط بلدان المغرب ولها امتداد حضاري بمشتركات وخصائص مع العالم الإسلامي، وبوابة إفريقيا جنوب الصحراء، وتترجع على شريط ساحلي يمتد من الحدود

2 - عبد الله شريط - محمد بن مبارك الميلي، الجزائر في مرآة التاريخ، مكتبة البعث، ط1، قسنطينة، 1965، ص159.
2 - سليمان سيد أحمد، سياسة فرنسا في توطين الأوربيين في الجزائر، 1887-1830 بحث لشهادة الدراسات المعمقة، جامعة وهران، جوان، 1976، ص4.
3 - جلال يحيى، التاريخ الأوروبي الحديث والمعاصر سيطرة أوروبا على العالم، ج 4، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، د.ت، ص465.
4 - يحي بوعزيز، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، ج1، المرجع السابق، ص 519-520.

المغربية إلى الحدود التونسية بالبحر الابيض المتوسط، ولها أراضي عالية ممتدة بين البحر المتوسط والصحراء¹.

إن سوء نية حكم المملكة الفرنسية وممثليها في القضية التي استخدمت كعذر للاعتداء على الجزائر والمتمثلة في قضية الديون، والمطالب الجزائرية بتسديد فرنسا لديونها بعدما تأخرت في دفع ثمن الحبوب، التي استوردتها من الجزائر في عهد حكومة الديركتوار، بواسطة اليهوديان "بكري وبوشناق"، اللذان استخدمهما الداوي في الشؤون المالية²، هنا بدأت المؤامرة بين اليهوديين والدوق "دوفال"، خاصة بعدما تضخمت الديون الفرنسية التي بلغت سنة 1800 الى مبلغ يقدر بـ: 8 ملايين فرنك³.

اتضحت للداوي المؤامرة فطالب من الحكومة الفرنسية سحب قنصلها من الجزائر وتوجيه اليهوديين إلى الجزائر، ونظرا للأوضاع التي كانت تعيشها البلاد، أرادت الحكومة الفرنسية استغلال الفرصة وتطبيق خطتها ومشروعها، فأمرت قنصلها "دوفال" باستفزاز الداوي وافتعال حادثة يكون لها وقع ومبرر لقطع العلاقات وإعلان الحملة على الجزائر، وكانت الفرصة مواتية في 27 أبريل 1827م⁴، لكن الداوي رفض ذلك فأعلنت فرنسا حصارها على الجزائر الذي شرعت في تطبيقه في 15 جوان 1827م⁵.

إن الانحطاط والضعف السياسي والفكري الذي كانت تعيشه الجزائر في تلك الفترة تحت حكم جنود الانكشارية، ليس لهم وعي سياسي وحضاري، وليس لهم اطلاع لما وصلت إليه الدول الأوروبية الكبرى، ومشروعها الاستعماري نتيجة النهضة الأوروبية والثورة الصناعية التي جعلتها تتنافس فيما بينها، للبحث عن أحسن المجالات الحيوية والمستعمرات من أجل فرض السيطرة والهيمنة الدولية، تلك الظروف الدولية اثرت على الوضع الداخلي

¹ - أندري برينان وآخرون، الجزائر بين الماضي والحاضر، ترجمة رابح اسطنبولي ومنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص 13-14.

² - نفسه، ص 217.

³ - صالح عباد، الجزائر خلال الحكم العثماني 1514-1830، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2005، ص 242.

⁴ - عبد الله شريط - محمد بن مبارك الميلي، المرجع السابق، ص 162-164.

⁵ - صالح عباد، المرجع السابق، ص 243.

والخارجي في صناعة طبيعة العلاقات خلال تلك المرحلة الصعبة والتي سوف تنعكس على الوضع القائم آنذاك.

المحاضرة السادسة:

المخططات والمشاريع الفرنسية لغزو الجزائر (1782-1830م).

ان المخطط الفرنسي لاحتلال الجزائر قديم النشأة، فالتفكير الفرنسي في احتلال الجزائر وسعيها لتحقيق ذلك لا يعود إلى القرن 19م، وإنما يعود إلى عهد الملك " لويس الرابع عشر " Louis XIV، حيث يقول " أوغستان برنار " Augustin Bernard، في كتابه "الجزائر": «إن احتلال الجزائر هي ثمرة ثلاث قرون من جهود متواصلة باستمرارية جديرة بالتقدير.

بدأت الحكومة الفرنسية بتجسيد نواياها ضد الجزائر منذ أواخر القرن 18م، بالاستعداد والتحضير لحملة عسكرية، وذلك بجمع مختلف المعلومات السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية التي تخص إيالة الجزائر، وكان مصدر هذه المعلومات من القناصل والتجار

والمبعوثين الفرنسيين الذين أقاموا في الجزائر، أو أرسلتهم الحكومة الفرنسية خصيصا للتجسس¹، ووضع المشاريع والخطط الاستعمارية والمتمثلة أهمها في المخططات النابليونية:

- مشروع جون بون سانت أندري (Jon pont Sant André) 1802م ومشروع هولان (Holon) 1802م ومخططات شارل العاشر (CHARLESX)² منها:

- مشروع كليرمون تونير (Clermont-Tonnerre)³، 14 أكتوبر 1827م.

-مشروع دي لافروتي (Dilafroty) 19 جانفي 1828م.

مشروع دولابروتونير (Delapronair) 1829م.

بالرغم من وجود مشاريع قديمة لاحتلال الجزائر، إلا أن أهم هذه المخططات والمشاريع الاستعمارية تتمثل فيما يلي:

أ- مشروع ديكارسي (Décarcy):

يعتبر مشروع ديكارسي من المشاريع والمخططات العسكرية الهامة لاحتلال الجزائر، التي أعدتها الحكومات الفرنسية، أخذ التقرير الذي وضعه " ديكارسي" مشروعين لاحتلال الجزائر.

¹ - الغالي غربي، المرجع السابق، ص 66-67.
² - كان آخر ملوك سلالة أسرة آل بوربون حيث قامت الثورة الفرنسية بطردها من الحكم سنة 1824م وحتى عام 1830 خلفه في الحكم لويس فليب توفي سنة 1836م، ينظر: مسعودي أحمد، الحملة الفرنسية على الجزائر والمواقف الدولية منها (1792-1830م)، دار الخليل العلمية، الجزائر، طبعة خاصة، 2013، ص 80.
³ - كليرمون تونير: De Clermont-Tonnerre عائلة تنحدر من بيكاردي وهو عقيد في قيادة الأركان ويعتبر أحد صناع القرار في إدارة الاحتلال الفرنسي ويكون في المرتبة الثانية من حيث الأهمية بعد ملك فرنسا مباشرة، كلف من طرف وزارة الحربية بتحضير بعثة حملة الجزائر. وسهل إمامه باللغة العربية المهمة، وكان لعلاقاته مع سكان منطقة ميدي الفرنسية، واتصالاته المتينة مع عدد من القناصل والشخصيات الرسمية والرحالة الأمريكيين والإنجليز والهولنديين، كان لذلك الفضل في إتمامه للدراسة الميدانية لمحيط مدينة الجزائر، في منتصف شهر جانفي من العام 1830، أصدر تونير أمرا بتأسيس مكتب خاص في وزارة الحربية كلف بتنفيذ خرائط ومخططات الحملة أشرف عليه النقيب فولتز من هيئة أركان الجيش، وبنهاية شهر ماي من العام نفسه كلف ديورمون تونير بطباعة بيان باللغة العربية ينظر:

Berbruger-Bresnier, Première proclamation Française aux Algériens, Revue Africaine, ed.A.Jourdan.Libraire n06, 1862, p147.

- المشروع الأول 1782: مذكرة حول الجزائر " استهله بالتطرق لموضوع العلاقات الدبلوماسية والتجارية الفرنسية الجزائرية وطبيعتها،¹ وفيه يحذر حكومة بلاده وينصحها بإظهار الصرامة والجدية في تعاملها مع الجزائر، وأوضح في مشروعه بأن القنصل الفرنسي وجد نفسه بين اختياريين إما الانسحاب أو ترضية الداوي، وحسبه أنه يحبذ الاختيار الأول.²

اقترح في مشروعه هذا عقد بلاده اتفاقاً محدداً مع إيالة الجزائر حول افتداء الأسرى (هم ثلاثة أسرى جنوبيين فرنسيين موجودين بالجزائر الذين استلمتهم فرنسا عام 1792م)³، حتى لا يتحول موضوع الأسرى إلى أداة ضغط بيد الجزائريين في حالة إعلان الحرب أو القيام بالحملة.

كان ديكارسي يرى أن قبل إرسال الحملة العسكرية، يجب على فرنسا القيام بعدة إجراءات استباقية منها فدية الأسرى، أما عن الخطة العسكرية الواجب إتباعها في حالة ما قررت حكومته احتلال الجزائر، فهي تعتمد على استعمال الجيش البري فقط، كما أوصى بهدم كل الحصون والقلاع ونقل المدافع إلى فرنسا، أما عن الموقف الواجب اتخاذه اتجاه الجزائر بعد احتلالها فيعتمد على تأسيس حكومة مشكلة من الجزائريين .

- المشروع الثاني في عام 1791م: أنجزه في السنة التي عاد فيها إلى باريس أي عام 1791م، وقد كرر في مشروعه الثاني ضرورة اتخاذ مجموعة من الإجراءات قبل إعلان الحرب على الجزائر، ومنها إخراج الرعايا الفرنسيين المقيمين على الأراضي الجزائرية، وسحب كل السفن الفرنسية من الموانئ الجزائرية، مع إعلان الحصار البحري على مدينة الجزائر وتشديد الرقابة على موانئ الإيالة، لمنع البحارة الجزائريين من الإبحار، أما أنسب منطقة لنزول القوات الفرنسية حسب رأيه فهي منطقة سيدي فرج،⁴ هذا المكان عبارة عن أرض صغيرة

1- الغالي غربي، المرجع السابق، ص 67-68.

2- نفسه، ص 68.

3- جمال قنان، المرجع السابق، ص 44.

4- الغالي غربي، المرجع السابق، ص 68-70.

داخلة في البحر غير بعيدة عن مدينة الجزائر وبعيدة بمسافة ألف ومئة متر عن سطح البحر¹

ب- مشروع تيدينا 1802 م (Thedenant): ولد تيدينا سنة 1757م، واشتغل بالتجارة وتمكن من إتقان اللغة الاسبانية، وفي 1779م أبحر من مدينة مالاقا على متن مركب اسباني إلى مرسيليا لنقل براميل الخمر، وفي عرض البحر هاجم البحارة العثمانيون في البحر هذا المركب، حيث وقع تيدينا في الأسر يوم 2 أفريل 1779م.²

أخذ مشروع " تدينا " عنوان " نظرة حول إيالة الجزائر "، تضمن هذا المشروع معلومات التي تخص الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والعسكرية لإيالة الجزائر، والفوائد التي تعود على فرنسا من وراء احتلالها للجزائر، فلا يختلف المشروع عن سابقه، إلا أن تدينا أشار إلى صعوبة الهجوم البحري على مدينة الجزائر، ولهذا يؤكد على أهمية الهجوم البري الذي وضع له خطة عسكرية، وحدد فيها نقطة النزول والمسالك والدروب التي على الجيش الفرنسي أن يسلكها.

وقد حدد تدينا شاطئ تنس التي تقع غرب مدينة الجزائر، كنقطة إنزال وذلك لتميزها بعدة مواصفات منها: طوبوغرافية المنطقة الملائمة للنزول، وكذلك خلوها من التحصينات والدفاعات العسكرية، إلا أن هذا المشروع كانت نهايته الفشل.³

ج- مشروع " بوتان " 1808م (Boutin): ولد بوتان في 1772/1/1 شارك في حروب الثورة ، وأول نشاط قام به تمثل في إعداد الحصار وضربه على مدينة مايبستريخت، وفي 1795 عين نقيبا ،وفي سنة 1800 التحق بالقوات العسكرية،⁴ لقد تلقى الضابط بوتان أمرا رسميا من السلطات الفرنسية العليا لإعداد مشروع، حيث أعد مشروعه بطريقة منهجية، وافتتح مشروعه بذكر نقطتين ارتكز عليهما وهما:

1- الحسني محمد الهادي، الاحتلال الفرنسي للجزائر من خلال نصوص معاصرة، عالم الأفكار، الجزائر، 2006، ص15.

2- بنور فريد، المرجع السابق، ص 73.

3- الغالي غربي ، المرجع السابق، ص74.

4- بنور فريد، المرجع السابق، ص325.

1- نقطة النزول.

2- المقاومة التي يواجهها الجيش الفرنسي.

قام الضابط بوتان بمهمته الاستطلاعية في مدينة الجزائر التي مكث فيها من 24 ماي إلى 17 جويلية 1808¹، واستقبل بوتان بعد وصوله إلى مدينة الجزائر من طرف القنصل ديبواتانفيل (Dubois thainville)² بحفاوة بالغة، وشرع في تنفيذ التعليمات التي زود بها من قبل وزراء البحرية، وقال بوتان بأنه سيدعي أنه من أحد أقرباء القنصل العام "ديبواتانفيل" وأنه جاء ليقوم بزيارة له تدوم بضعة أسابيع، ولقد تلقى من القنصل مساعدة كبيرة إذ قدم له كل التسهيلات من أجل إنجاز مهمته التجسس.

كان الضابط بوتان يتجول في مدينة الجزائر ويطوف في ضواحيها وينتقل باستمرار من مكان إلى آخر، ويمشي في الرصيف البحري وذلك كله لغرض معرفة عمق البحر وانتقاء مكان إرساء السفن.

واصل بوتان مهمته الاستطلاعية رغم الصعوبات التي واجهها، واتجه غربا واستكشف شبه جزيرة سيدي فرج بأن ساحل هذه المنطقة هو المناسب لنزول الجيش.³ أقنع هذا الموقع المتعدد المزايا النقيب بوتان بضرورة جعله أنسب المواقع لعملية نزول القوات البحرية.

قررت فرنسا أنه في حالة ما إذا شنت قواتها حملة على مدينة الجزائر، فإن ذلك سيتم من سيدي فرج وسيتم مهاجمة " حصن الإمبراطور"⁴ أول الأمر، وأنهى الضابط بوتان مهمته وسجل كل الملاحظات الهامة ورسم جل المخططات التي أمر بإعدادها بكل سرية، وكان مستعدا للعودة إلى فرنسا، فغادر مدينة الجزائر في 17 جويلية 1808م.⁵

1 - محمود باشا محمد، المرجع السابق، ص55.

2- ديبواتانفيل: يعتبر من رجال الثورة الفرنسية الأوائل الذين كانوا وراء سقوط نظام الملك لويس 16، وكان أول من رفع راية الثورة الفرنسية الثلاثية الأولى، ينظر: بوضرساية بوعزة، سياسة فرنسا البربرية في الجزائر (1830-1930م) وانعكاساتها على المغرب العربي، دار الحكمة، الجزائر، 2010، ص73.

3- بنور فريد، المرجع السابق، ص338-339.

4- حصن الإمبراطور هو: برج مولاي الحسن يقع على بعد 1225 متر من القصبة ويحمي المدينة من الناحية الجنوبية والجهات البرية وهو حصن يشرف على العاصمة، وسماه الفرنسيون بحصن الإمبراطور، ينظر: عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج3، ص385.

5- محمود باشا محمد، المرجع السابق، ص56.

د- مخطط " بيار دوفال " 1819 - 1827 (Pierre Duval) :

بيار دوفال آخر قنصل فرنسي في الجزائر قبل الاحتلال، وكان في نفس الوقت تاجرا، كانت تربطه علاقات مع بكري وبوشناق واشترك معهما في عدة قضايا، كانت مواقفها الشخصية من الأسباب التي أزمات الوضع السياسي بين الجزائر وفرنسا، وزادت من وقع الازمة وحدتها.¹

يتمثل مخطط القنصل دوفال في مشروعين عسكريين الأول أعده في 1819م والثاني 1827م، ومنذ عام 1820م عمد إلى العمل من أجل زعزعة القواعد والأسس التي ارتكزت عليها العلاقات الجزائرية الفرنسية منذ زمن طويل، ولقد تبنى هذا القنصل في مراسلاته موقف الرفض المطلق للاعتراف باستقلال الجزائر وسيادتها، وأخذ على عاتقه وبكيفية متواصلة إقناع المسؤولين في فرنسا بهذه الفكرة وترسيخها في أذهانهم.²

- المشروع الأول 28 ديسمبر 1819م:

بدأ القنصل بيار دوفال يفكر في كيفية الاستيلاء على الإيالة واستعمارها، قبل ظهور النزاع بين الجزائر وفرنسا ففي 28 ديسمبر 1819م أعد في مدينة الجزائر مشروعا في شكل رسالة، ولم تكن هناك أسباب موضوعية لكتابة ذلك التقرير، لأن العلاقات الجزائرية الفرنسية كانت أنداك حسنة وذلك من خلال: إقامة صداقة قوية وتعاون دائم ومنحها امتيازات تجارية هامة، وسمحت لها بإنشاء مؤسسات في عنابة والقالمة والقل لصيد المرجان وتصدير الحبوب إلى أوروبا،³ وكان القنصل دوفال خلال إقامته يتجسس لاكتشاف المنطقة المثلى لإرسال حملة عسكرية.

إن هذا المشروع أهم ما جاء فيه هو الإصرار على تجسيد حملة، حيث قدم أدلة قاطعة ليثبت عدم الجدوى من القصف البحري، وبدل ذلك بين أن الحل الوحيد لإخضاع الجزائر يتمثل في ضرب حصار بري، ولإثراء مشروعه فقد أشار على الضابط بوتان الذي استطلع

¹ حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص147.

² بنور فريد، المرجع السابق، ص467-468.

³ عمورة عمار، المرجع السابق، ص111.

مدينة الجزائر ودرس المنطقة طوبوغرافيا، وتيقن القنصل دوفال بأن مدينة الجزائر تزداد قوة كلما تعرضت لحملة أوروبية، وبأن القصف البحري مهما بلغت شدته لا يؤدي أبدا إلى إخضاعها وبالتالي استنتج عدم فائدة من إرسال الأسطول لضربها ، فقد علم بأن لا بديل عن حملة برية، وفي هذا الإطار أصر على ضرورة ضرب حصار بري باعتباره الوسيلة الوحيدة للاستيلاء على مدينة الجزائر.

- المشروع الثاني 7 أوت 1827م:

حرر القنصل دوفال "مذكرة حول الصعوبات والتسهيلات للحملة البرية على الجزائر"، وتتمثل المواضيع الرئيسية التي اشتملت عليها هذه المذكرة في أهم الأحداث التي عاصرها القنصل دوفال، ووصف طوبوغرافي مختصر لمدينة الجزائر، ثم الوضع العسكري للإيالة والسكان، وأخيرا المخطط العسكري.¹

تحدث " القنصل دوفال " ووصف فيما يخص الوصف الطوبوغرافي، بالقول أن مدينة الجزائر بنيت فوق تَلُّ شديد الانحدار ولها شكل مثلث ذي قاعدة من الناحية البحرية، أما عن الوضع العسكري فقد ذكر بأنها محصنة بإحكام من جهة البحر، كما حدد في مخططه العسكري مشروع نقطة النزول وراء " فاكسين"² في الشاطئ، وهذا المكان خال تماما من التحصينات ومن وسائل الدفاع الأخرى.

إن الهدف من ضرب الحصار البري المحكم على مدينة الجزائر، هو قطع عنها كل التموين سواء بالمواد الغذائية أو بالمياه التي تأتيها عبر القنوات، لم يخف القنصل دوفال طمعه في السطو على كنوز الجزائر، فهو كغيره من الفرنسيين الذين طمحوا للاستيلاء على الخزينة، لقد أكد بأن نفقات الحملة البرية ستعوض.

- مشروع كولي (Coulet) 10 أوت 1827م:

¹- بنور فريد، المرجع السابق، ص ص-470-474.
²- تبعد فاكسين عن مدينة الجزائر بحوالي أربع أو خمسة أميال غربا وإلى المشرق من سيدي بتسعة أميال، ينظر: محمد الهادي الحسني، المرجع السابق، ص15.

كان كولي من أنصار الحملة والإنزال والاحتلال للجزائر، بعد الحصار الذي أحدث انقسام في الأوساط الفرنسية الحاكمة.¹

أعلن جوزيف كولي (J. Collet) الحصار البحري على الجزائر رسميا في 16 جوان 1827م، بعدما رفض "الداي حسين" الاستجابة لمطالب فرنسا، وفي 10 أوت 1827م أعد مشروعا حول الوضع العسكري والبحري للإيالة وهو على متن سفينته "لابروفانس" (La Province)² أمام مدينة الجزائر.

اقتنع "كولي" أن الإيالة قوة بحرية لا تهاجم، إذ شاهد بعينه مدينة الجزائر الحصينة ومدافعها القوية وبطارياتها المنيعة، وانطلاقا من ملاحظاته الخاصة أكد بأن القيام بحملة بحرية سيكون مآلها الفشل الذريع، وصرح في مشروعه قائلا: "لي الشرف العظيم أن أخبر سعادتكم بأن المعلومات التي تحصلت عليها حول الوضع بمدينة الجزائر ومنشآتها الدفاعية جعلتني لا أعتقد بأنه من الممكن أن نجرب مع نوع من الأمل في نجاح حملة بحرية على الميناء أو على المدينة ذاتها".³

كما ذكر كولي بأن الجزائريين لم يُولوا عناية خاصة بتحصين البر، وفي هذا الإطار أشار إلى مخطط مشروع الضابط بوتان الموضوع في وزارة الحربية، إذ رأى ضرورة العودة إليه، واستشارته في النقطة التي تتعلق بتحصين المناطق الداخلية على وجه الخصوص، ذلك أن وسائل الدفاع البرية لم تتغير منذ استطلاع هذا الضابط على مدينة الجزائر عام 1808م، وقد كان كولي من أنصار الحملة البرية فهو متأكد بأن مآل الحملة البحرية سيكون الفشل الذريع، لأن مدينة الجزائر قوة بحرية معتبرة.⁴

¹ - زروال محمد، العلاقات الجزائرية الفرنسية (1830-1791م)، دحلب، الجزائر، 1994، ص94.
² - هي السفينة البرلمانية التي كان يركبها السيد تونير والتي وصلت إلى ميناء الجزائر يوم 1829/7/30م للتفاوض مع سلطة الإيالة حول إمكانية التواصل إلى حل للأزمة، ينظر: حمدان خوجة، المصدر السابق، ص145.
³ - بنور فريد، المرجع السابق، ص ص475-483.
⁴ - نفسه، ص485.

المحاضرة السابعة:

الجانب الدبلوماسي "المعاهدات الدولية".

بعد سيطرة نابليون بونابرت على إسبانيا بدأ يفكر في إرسال حملة ضد الجزائر، وبحملته الفاشلة على روسيا عام 1812م والتي انتهت بتحالف دول أوروبا ضده وإسقاطه عامي 1814م-1815م، وإثر ذلك بدأت تظهر في الأفق مشاريع دولية لتدويل قضية الجزائر والمغرب خاصة في مؤتمر فيينا 1814م وإكس لاشابيل "Aix la chapelle" في 30 سبتمبر 1818م¹ والذي شاركت فيه كل من بريطانيا وفرنسا وهولندا والدويلات الإيطالية وإسبانيا والبرتغال².

سعت السلطات الإنجليزية في سنة 1814م الاهتمام بمشكلة الجزائر والدول المغاربية حيث قدم سيدني سميث (Sidney Smith) مذكرة الى المؤتمر خاصة بالمشكلة الجزائرية يطلب فيها الدول الأوروبية للقيام بعمل جماعي ضد دول المغرب لتحطيم قوتهم البحرية وتغيير حكوماتهم، لكن فرنسا رفضت هذا الاقتراح لأنه يتعارض مع مصالحها حيث رأت في تنفيذ هذا المشروع يعطي لإنجلترا التفوق في حوض البحر الأبيض المتوسط. وعملت إنجلترا لتبني مشروع سميث وتنفيذ فكرة التدخل على الجزائر باسم أوروبا والمسيحية وذلك نتيجة تفوقها واكتسابها مركزا جيدا في البحر المتوسط بعد سيطرتها على الجزر الايونية ومالطا³.

عقدت إنجلترا معاهدة مع النمسا وبروسيا ضد الجزائر في أكتوبر 1815م، واعتزمت عقد اجتماع بلندن لبلورة سياسة مشتركة تجاه الجزائر بعد تهديد مصالحها التجارية في البحر المتوسط⁴.

بعد سقوط نابليون الأول عام 1815م، عادت أسرة آل بوربون إلى الحكم في فرنسا بناء على قرارات مؤتمر فيينا والتحاق القنصل الجديد ببيير دو فال في شهر فيفري 1816م، قد سعت

¹ فيلالي عبد العزيز، جرائم الجيش الفرنسي في مقاطعتي الجزائر وقسنطينة (1830-1850م)، دار الهدى، الجزائر، 2012، ص16.

² عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج3، ص356.

³ يحي بوعزيز، موجز تاريخ الجزائر، ج2، المرجع السابق، ص 108-110.

⁴ A. Temimi, Document Turcs inédits sur le bombardement d'Alger 1816, Revue de L'occident musulman et la méditerranée, N05, 1968, p.111-112.

حكومة الملك لويس الثامن عشر إلى إعادة العلاقات مع الجزائر وتسوية الخلافات التي كانت في عهد نابليون الأول، وتصفية ديون بكري وبوشناق والعودة بالعلاقات إلى حالة الصداقة ما قبل القطيعة، وهكذا استرجعت فرنسا امتياز استغلال الباستيون من أيدي الإنجليز في 15 مارس 1817م هذا من جهة.

ومن جهة أخرى قد تزامن الاجتماع المنعقد في لندن 1816/08/28م لدراسة الإجراءات المتعلقة بتحريم تجارة الرقيق وقمع من يمارسها وكذا قمع القرصنة، وهو البند الذي صادق عليه مؤتمر فيينا عام 1815م والذي صدر عنه هذا المشروع مع الحصار البريطاني للجزائر، إذ رأت فرنسا في ذلك وهي الخاضعة لقوات التحالف أن بريطانيا أعطت لنفسها وسائل إضافية لإحكام قبضتها على البحر الأبيض المتوسط، وذلك بتأييد روسيا والنمسا اللتان كانتا تستعدان لسلب الممتلكات العثمانية في البلقان وشمال آسيا الصغرى، مقابل إطلاق يد دول أوروبا الغربية في منطقة المغرب، ورغم أن اجتماعات لندن عام 1816م لم تتوصل إلى قرار نهائي حول مشروع الرابطة البحرية (إنشاء قوة بحرية مشتركة) فقد اتخذ قرار بتحويل المسألة على مؤتمر القمة للبحث فيه.¹

دعم مؤتمر فيينا الاحتلال الفرنسي للجزائر والذي عقد في 09 جوان 1815م حيث تحالفت الدول الأوروبية لوضع حدا للأسطول البحري بالجزائر الذي كان يشكل خطرا على مصالحها التجارية في البحر الأبيض المتوسط، والحواف فيه على ضرورة وضع حدا لمسألة استرقاق المسيحيين في البلدان المغاربية.²

انعقد مؤتمر أكس لاشابيل يوم 30 سبتمبر 1818م، الذي دعت إليه فرنسا من أجل طرح مسألة جلاء قوات الاحتلال عن أراضيها، والاتفاق مع الدول الأربعة الكبرى (بريطانيا وروسيا والنمسا وبروسيا) على مبلغ التعويضات المطلوب دفعها من طرف فرنسا (حدد مبلغ التعويضات بمائتين وخمس وستين مليون فرنك).

بعد انعقاد مؤتمر أكس لاشابيل كانت النمسا ترى إعادة تأسيس فرسان يوحنا في جزيرة ليسا أو البيا، وعرضت إنجلترا مشروعها السابق، اما فرنسا كانت تسعى لاحتلال

¹ - رزيق محمد، العلاقات الجزائرية الفرنسية من خلال معاهدة التافنة 1837، دار قرطبة، الجزائر، ط1، 2013م، ص 40-40.

² - حنفي هلايلي، المرجع السابق، ص 10-11.

مكانتها بين الدول الكبرى التي حققت الانتصار عليها مثل إنجلترا وروسيا فرات ان تنضم الى الحلف الرباعي على ان تستخدم كل دولة قوتها وحدها وتحدد عدد سفنها التي تستخدمها مع اخطار الباب العالي بكل تلك الإجراءات.

تعقدت الأمور بعدما حاولت روسيا الاشتراك كقوة بحرية، فحاولت كلا من فرنسا وبريطانيا ابعادها عن حوض البحر الأبيض المتوسط، وأصدر المؤتمر في 20 نوفمبر 1820م وضع حدا للقرصنة وتكليف فرنسا وبريطانيا ابلاغ الجزائر انذار بوقف عمل القرصنة والاسترقاق، والا سوف تألف حلفا أوروبيا يقضي على اياالتها¹.

استقبل الداى حسين المبعوثين مرتين (وهما نائب الأميرال الإنجليزي فرومانتيل(Framantil) ، والفرنسي الأميرال جوريان دولاقرافير Juraient de la (Gravier)، الأولى كانت يوم 5 سبتمبر 1819م وتسلم فيها منهما التصريح الذي أقرته الدول الأوروبية في مؤتمر اكس لاشابيل، والمرة الثانية يوم 9 سبتمبر 1819م، وقد أعلن الداى فيها للمبعوثين عن موقفه النهائي بخصوص مساعهما، والمتمثل في وفاء بلاده بتعهداتها والتزاماتها مع الدول التي ارتبطت معها بمعاهدات صلح، مؤكدا في نفس الوقت تمسك بلاده بحق تفتيش السفن الذي اعتبرته حقا مشروعا، أما الدول التي لا ترتبط مع الجزائر بمعاهدات صداقة، فهي دول معادية².

من المسائل التي بقيت عالقة بين الجزائر وفرنسا في هذه المرحلة: قضية ديون بكري³ وبوشناق، وقضية ما ادّعه فرنسا من أملاك لها في مدينة عنابة تابعة للشركة الإفريقية، التي كانت تستغل امتياز الباستيون قبل القطيعة التي حدثت بين البلدين في أواخر عام 1790م. وقد زادت العلاقات بين البلدين توترا مع مجيء القنصل بيير دوفال، الذي سعى إلى التأكيد أن لفرنسا حقوقا إقليمية في الجزائر اكتسبتها من المعاهدات التي أبرمتها مع الدولة العثمانية ومع الجزائر، والتي لم تترجم حسب دوفال ترجمة صحيحة، ويمكن بلورة الأسباب الحقيقية للقطيعة بين الجزائر وفرنسا إلى ثلاثة عناصر رئيسية وعنصر ذاتي وهي:

¹ - يحي بو عزيز، موجز تاريخ الجزائر، ج2، المرجع السابق، ص 113-114.

² - مسعودي أحمد، المرجع السابق، ص 41-43.

³ - بكري: هو لقب لأسرة يهودية قدم رئيسها الأول ابن زقوط من ليفورنة إلى الجزائر 1870، وكانت تتعامل مع الخارج وأهم ما قامت به تزويد فرنسا بالحبوب والاندماج في مؤسسة يهودية أخرى، ينظر: حمدان خوجة، المصدر السابق، ص 139.

- العنصر المتعلق بحق تفتيش السفن في البحر والذي ترفضه فرنسا أن (علما بأن حق التفتيش مبدأ عام في قانون البحار).¹

- ادعاء فرنسا بحقها في إضفاء حمايتها على ملاحه وسفن دول أجنبية لا ترتبط مع الجزائر بمعاهدة سلمية مبرمة كما هو الحال مع السفن البابوية.

حماية البلاد من محاولة فرنسا إجبار الجزائر على الاعتراف بالمعاهدات، التي أبرمت بينها وبين الدولة العثمانية وبالأخص فيما يتعلق بالامتيازات وتطبيقها في الجزائر (تنص هذه المعاهدات منذ 1619م في بندها الأول أن الجزائر تتعهد بتنفيذها).

أما العنصر الذاتي والذي كان له تأثير في صياغة القرار السياسي، فهو تطوّر الذهنية العدوانية في فرنسا ضد بلدان المغرب العربي عموماً وبالخصوص ضد الجزائر، أما قضية المروحة فلم تكن إلاً ذريعة حيث أن قرار فرض الحصار على السواحل الجزائرية كان قد اتخذ قبل هذه الحادثة بخمسة أشهر، أي منذ ديسمبر 1826م، ونظراً لاقتراح من وزير البحرية الفرنسي "دي بورمون" الذي اعتبر القوات غير كافية وأن الفصل فصل شتاء، فقد أجل إرسال الحملة العدوانية إلى وقت آخر.²

1-2 الحصار البحري على الجزائر 1827-1830م.

وصل خبر حادثة المروحة إلى فرنسا في وقت كان فيه الرأي العام مستاء من العجز المفاجئ في الميزانية، وهذا ما جعل الحكومة الفرنسية تطلب من الداي تقديم اعتذار فرفض، فأعلنت حصار مدينة الجزائر إلى أن يحصل الملك الفرنسي على رغبته في معاقبة الجزائر وحماية التجارة الفرنسية،³ شرع في تطبيق هذا الحصار في 12 جوان 1827م، حيث أرسلت فرنسا الضابط كولي كقائد سري على رأس ست بوارج حربية بحرية إلى الجزائر، ليملي

¹ - رزيق محمد، المرجع السابق، ص 41-42.

² - نفسه، ص 44.

³ - صالح عباد، المرجع السابق، ص 243.

مطالب حكومته على الداوي الذي واجهها بالرفض، ولما تصلب الداوي في موقفه فقد أعلن كولي الحصار على الجزائر في 16 جوان 1827 م¹.

وبعد تقرير فرنسا للحصار كان رد فعل الداوي على ذلك، أن أصدر أوامره لتدمير الوكالتين التجاريتين التابعة لفرنسا ببونة والقالة، بعد أن أجلا عنهما الجالية الفرنسية وكان ذلك في 26 جوان 1827م، وكانت باريس تعتقد أن الداوي سيقرب بخطئه، لذا أمرت دوفال بالمكوث على سفينة كولي والبقاء على استعداد للاستجابة لأول نداء، غير أن النداء لم يأت وبقي الداوي حسين متمسك بحقه مدعوما باندلاع قنصل إنجلترا منتظرا بصبر لأن تخفف المحاولة البحرية ككل المحاولات التي سبقتها، ففي بداية الحصار كانت السفن البحرية الفرنسية تتكون من سبع سفن حربية، وواصل كولي مراقبته المكلفة للسفن والتي تأكلت بفعل فصل الشتاء، فالحصار لم يحم السفن التجارية الفرنسية من ضربات القراصنة².

بعد أربعة أشهر من إعلان الحصار وضعف الأسطول العثماني والولايات التابعة له بعد المعارك التي خاضها ضد الرابطة الثلاثية المتكونة من فرنسا وإنجلترا وروسيا، حيث كانت أربع ساعات من المعركة يوم 20 أكتوبر 1830م كافية لأسطول الرابطة كي يحطم قطع الأسطول العثماني، وكانت هذه الهزيمة خسارة كبيرة لتأزم الوضع السياسي بالجزائر³.

استمر هذا الحصار البحري مفروضا على سواحل الجزائر لمدة ثلاث سنوات من 16 جوان 1827م الى 14 جوان 1830 م⁴، بدون جدوى وذلك باستغناء الجزائر عن البحر لما كان يصلها من تونس والمغرب عن طريق البر، لذلك طلبت فرنسا من الحكومة الفرنسية التدخل لتأديب داي الجزائر.

- محمد زروال، المرجع السابق، ص 93- 94¹

- حمداني عمار، حقيقة غزو الجزائر، ترجمة لحسن زغدار، ثالة للنشر، الجزائر، 2007، ص 193².

³ - عباد صالح، المرجع السابق، ص 244.

⁴ - جلال يحيى، العالم العربي الحديث، ج 1، محطة الرمل، الجزائر، 1998، ص 131.

وقع الحصار وكانت معارك بحرية شق بها الطرفان، خاصة بعد ضعف الأسطول البحري العثماني، مما أكد لفرنسا أن البحرية الجزائرية، قد أصبحت عاجزة عن الغارات الأجنبية، ومنذ ذلك الوقت أخذت فرنسا تفكر في تدبير خطتها الحربية لاحتلال الجزائر.¹

2-1- تأكيد الغزو الفرنسي للجزائر : الحملة 1830.

بعد الحصار الفرنسي على الجزائر منذ 15 جوان 1827، وبعد اجتماع مجلس الوزراء الفرنسي في 30 يناير 1830، قرر القيام بحملة على الجزائر، وفي 08 فبراير أقر الملك شارل العاشر مشروع الحملة وأصدر مرسوما ملكيا بتعيين الجنرال ديبورمون "De Bourmont"² قائدا للحملة والقائد دوبري "Dupperré" قائدا للأسطول الفرنسي فأمر الملك شارل العاشر بالاستعدادات الحربية تحضيراً للحملة³، فتكون الجيش الفرنسي من مقاتلين مجموعهم 33137، منهم 110 قادة أركان، و1343 مهندس، و1109 ضابط وعامل إداري، 882 متطوع، و539 من الفرسان، جاؤوا إلى الجزائر على متن 768 سفينة، وفي 13 جوان كان الأسطول الفرنسي قرب مدينة الجزائر⁴ لينزل في شبه جزيرة سيدي فرج في 15 جوان،⁵ ولقد واجه الإنزال الفرنسي عدة مشاكل جراء رداءة الطقس وجهل القوات الفرنسية للميدان الذي تشغله⁶، بينما دفاعات "الداي حسين" لم تستغل هذه الظروف لمهاجمة قوات الاحتلال الفرنسي بل بقيت قواته متمركزة في تحصيناتها تنتظر هجوم القوات الفرنسية⁷، وبعد أن تم إنزال القوات الفرنسية نصب القائد العام الفرنسي دي بورمون مقر قيادته في زاوية "سيدي فرج" قامت بتحصين موقعها بتشكيل دائرة وأمامها تم تنصيب مراكز متقدمة.

¹ - سماعيل زوليفة، تاريخ الجزائر من فترة ما قبل التاريخ إلى الاستقلال، دار دزير أنفو، الجزائر، ط1، 2013، ص352.
² - الماريشال دي بورمون: Louis Auguste Victor Comte de chasme de Bourmont، ولد سنة 1773م، بمدينة ماين، التحق بالمدرسة العسكرية بسوارار، وفي سنة 1788 تخرج منها، كما شارك في حروب نابليون، فأكسبه ذلك خبرة كبيرة مكنته من تولي مسؤولية قيادة الحملة الفرنسية على الجزائر في سنة 1830، وفي أوت 1830 عزل من منصبه ليعود إلى فرنسا حيث توفي في سنة 1846. ينظر:

D. Henry, Les conquérants de l'Algérie (1830-1852), Berger-levrault, Paris, 1930, P10.

³ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الحديث، بداية الاحتلال، معهد البحوث والدراسات العربية، مصر، 1970، ص 29.

⁴ - عميراي حميدة، جيش الاحتلال الفرنسي في الجزائر، مجلة سيرتا العدد 12، منشورات جامعة منتوري، قسنطينة، 1999، ص 05.

⁵ - G. Esquer, La prise d'Alger 1830, op.cit, p 285.

⁶ - C. Rousset, La conquête d'Alger, éd. Plon, Paris, 1880, p .119.

⁷ - Ibid., id., p .119.

المحاضرة الثامنة:

الموقف الانجليزي من الاحتلال الفرنسي للجزائر.

المواقف الدولية من الغزو الفرنسي للجزائر 1830.

1- الموقف الغربي :

واجهت فرنسا معارضة قليلة في المحيط الدولي في احتلال الجزائر نظرا للقرصنة البحرية في البحر الأبيض المتوسط، قد صور الضابط بوليناك أن التدخل الفرنسي هو في صالح الحضارة المسيحية بصفة عامة، في رسالة أبلغ فيها الدول الكبرى بقرار الحملة تمكن من خلالها كسب تأييد الدول الأوروبية بالمنطقة، ونتيجة إلى الدبلوماسية الفرنسية التي اتبعتها فرنسا قبل غزوها للجزائر، فإن الموقف الدولي الأوروبي كان مساندا إلى حد كبير الاحتلال الفرنسي للجزائر، خصوصا ما عرضته فرنسا من إجراءات لبريطانيا.

عرفت فرنسا كيف تستغل الظروف الدولية التي كانت تعيشها أوروبا في القرن 19م وخاصة بعد الحروب النابولونية وأثرها على الواقع الدولي، وظفت فرنسا كل امكانياتها البشرية والمادية للخروج من أزمتها الاقتصادية والاجتماعية وحتى السياسية في ظل الظروف الدولية، حيث كانت كل دولة تسعى للظفر بمصالحها الخاصة وخاصة في حوض البحر الأبيض المتوسط.

لذا استطاع الدبلوماسيون الفرنسيون من توجيه الراي العام الدولي لإنجاح الحملة الفرنسية على الجزائر من خلال توظيف الدين المسيحي والصراع الدولي وابعاد بعض الدول من خلال تلك الاتفاقيات والمعاهدات التي جمعتها معها لتوظيف كل المساعي والوسائل الدبلوماسية في كيفية مجارة الأوضاع خلال هذه المرحلة المصيرية والحاسمة بالنسبة لفرنسا ومكانتها الدولية.

- الموقف الانجليزي من الاحتلال الفرنسي للجزائر.

ارتبطت العلاقات الجزائرية الإنجليزية على الأساس المصلحة، ومحاولة إنجلترا لكسب مناطق نفوذ وتعكير العلاقات الفرنسية الجزائرية عن طريق القناصل الانجليز التواجدين بالجزائر،¹ للمنافسة على الامتيازات في الجزائر خلال القرن 18م.

عملت بريطانيا لضرب حصار دولي على فرنسا بمساعدة بعض الدول الأوروبية في افريقيا، من خلال الحصار القاري 1792-1793م، امتنعت بعض الدول التعامل مع فرنسا، ولكن هذا الحصار لم ينجح بسبب تدخل الولايات المتحدة الامريكية ومنح كل الحاجيات الاقتصادية لفرنسا².

استغلت بريطانيا الظروف في توطيد علاقاتها مع الجزائر من خلال الرسالة التي بعثها ولي عهد إنجلترا الى الداوي الحاج علي سنة 1812م مؤكدا له فيها انه طالما استمرت الصداقة بين الطرفين فان إنجلترا سوف تحمي الجزائر من أي عدوان خارجي.³

حاولت إنجلترا في سنة 1815م بعد قرارات مؤتمر فيينا القيام بحملة عسكرية بحرية ضد الجزائر، بحجة القضاء على القرصنة وتجارة الرقيق، فانطلقت الحملة الإنجليزية على الجزائر من ميناء بلايموث بقيادة اللورد اكسموث في 28 جويلية 1816م، وعند وصولها الى مضيق جبل طارق انضم اليها الاسطول الهولندي بقيادة فان كايبلسن (Vencapllen)، حيث وصل التحالف الأوروبي 17 اوت 1816م وبعد تقديم كلا من النقيب وورد (Ward) والضابط

¹ - شارل وليام، مذكرات فنصل أمريكا في الجزائر 1816-1824، تعريب إسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص140.

² - صغيري سفيان، المرجع اسابق، ص103.

³ - شارل وليام، المصدر السابق، ص140.

زويقل (Ziewgel) تقريرهما المفصل حول التحصينات الدفاعية للجزائر بدا الهجوم على مدينة الجزائر ولم تستطع القوات العثمانية بالجزائر صد ذلك التحالف فقبل الداى بتوقيع الصلح بين الطرفين¹.

شنت إنجلترا في 24 جويلية 1824م حملة ضد الجزائر، لكن لم تتمكن القوات الإنجليزية من الصمود وانسحبت من المعركة وتمت معاهدة صلح بين الطرفين وقبل الداى بشروط الانجليز مقابل استبدال قنصلهم ماك دونالد "Mac. Donell"².

كان الهدف الفرنسي من احتلال الجزائر سنة 1830م هو محاولة توسيع نفوذه في المنطقة ومقارعة السيطرة البريطانية على المتوسط³، تخوفت السلطات الفرنسية من الموقف الانجليزي لاحتلال الجزائر فمن خلال المعطيات التاريخية، كانت بريطانيا الدولة التي لا تقبل بالإجراءات الفرنسية فقبل سنة 1830م، كانت بريطانيا معارضة لضم الجزائر من قبل محمد علي ومشروعه مع فرنسا لاحتلال الجزائر فقامت بتهديده، فالسبب الأساسي لتحول حاكم مصر وتخليه عن تنفيذ خطته لاحتلال الجزائر، لقد كان الموقف الانجليزي معارضا لما تنوي فرنسا فعله في الجزائر، فقد أعلنت صراحة عن رفضها واعتراضها الشديد على الحملة الفرنسية على الجزائر، من أول يوم خرجت فيه الجيوش الفرنسية من ميناء طولون، وفعلا قدمت بريطانيا احتجاجاتها وإنذاراتها فيما يتعلق بهذه المسألة للحكومة الفرنسية⁴.

الموقف الانجليزي بطبيعة الحال لم يكن يهدف الدفاع عن مصالح الجزائريين، وإنما يدخل في إطار الصراع التاريخي بين فرنسا وبريطانيا حول مناطق النفوذ في البحر الأبيض المتوسط، لقد كان الموقف الانجليزي إذن يدافع عن مصالح بريطانيا للحفاظ على توازن القوى في البحر الأبيض المتوسط فالخطر الفرنسي سيهدد مصالحها التجارية والسياسية

¹ - عبد القادر فكايير، علاقات الجزائر مع هولندا خلال الفترة العثمانية، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، العدد 01، جامعة معسكر، 2007، ص194.

² - صغيري سفيان، المرجع السابق، ص104 - 105.

³ - الياس نايت قاسي، قراءة في تطور الموقف البريطاني من الاحتلال الفرنسي للجزائر 1830-1847، مجلة دراسات وابحاث المجلة العربية للأبحاث والدراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 13، العدد 01، جامعة الجلفة، جانفي 2021، ص187.

⁴ - ارجمند كوران، المصدر السابق، ص 50.

والاستراتيجية بالمنطقة، وتتعرض مناطق ارتكازها للتهديد وهذا ما سوف يؤثر بالضرورة على طريقها المؤدي الى الهند وتجارتها الخارجية¹.

حاولت بريطانيا افسال المشروع الفرنسي وحليفها محمد علي لاحتلال الجزائر من خلال تفاعلها مع التحولات التي شهدتها المنطقة واتخاذ صناع القرار في بريطانيا لمجموعة من القرارات اتجه المسألة الجزائرية، حيث شهدت وقائع الغزو الفرنسي للجزائر تعيين وزارة الخارجية البريطانية بلمرستون "Palmersto"، والذي اتصف بساسته الصارمة اتجاه النفوذ الفرنسي في البحر المتوسط والعالم².

وقد سعت الدبلوماسية البريطانية لإفسال المخطط الفرنسي المصري من خلال نشاطها الدبلوماسي قاده سفرائها وقناصلها لتطويق المشروع وإبلاغ الباب العالي والدول الأوروبية بالمشروع وفضح الاطماع الفرنسية بالمنطقة وخطر ذلك على البعد الإقليمي الاوروبي والدولي.

عملت السياسة البريطانية باتخاذ جميع السبل من خلال اللقاءات والضغط الدبلوماسي واطلاع الجزائر وتونس وطرابلس الغرب حول المشروع الفرنسي المصري ومحاولة احتلال هذه المناطق، كما قام القنصل البريطاني بالجزائر سيرجون بتنبيه قنصل سردينيا حول عواقب الخطر الفرنسي بالجزائر وامن أوروبا عامة³.

وهددت بريطانيا محمد علي باشا والي مصر حول اية محاولة توسع نحو الغرب من خلال الرسالة التي بعثها ولينقتون الى اللورد أبردين "Aberdeen"، يحدد فيها تفاصيل التعامل مع الموقف المصري: "يجب التحرك والعمل على اكراه محمد علي للعودة الى الطاعة أي طاعة الباب العالي وان لم يستقم سنعمل الى جانب الباب العالي حتى تقتطع منه أراضي المتواجدة في البحر المتوسط في سوريا والبحر الاحمر وأخبر كذلك الحكومة الفرنسية⁴."

¹ H. W. Beckles, l'ambassade d'Angleterre 1814-1920 ; un siècle de relations diplomatiques Franco-Britanniques. revues Belge de philologie et d'histoire, 1930, 09 (02), p. 654-656.

² خالد بن صغير، المغرب وبريطانيا العظمى في القرن التاسع عشر 1856-1886، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1997، ص50.

³ الياس نايت قاسي، المرجع السابق، ص188.

⁴ الياس نايت قاسي، المرجع السابق، ص187.

اثرت الدبلوماسية البريطانية في صناعة القرار السياسي الأوروبي لذا قامت السلطات الفرنسية بدعوة دعائية لمشروعها والأرباح التي تعود بها للأوروبيين، فوجدت التأييد السياسي واللوجستيكي ن قبل الدول الأوروبية لإنجاح مشروعها¹.

وتعد بريطانيا الدولة الوحيدة التي وقفت في وجه فرنسا وظهرت موقفا معارضا لاحتلال الجزائر، واستمر موقفها إلى غاية بريطانيا بموجب اتفاقها مع فرنسا²، والذي تضمن ضم سكان الوالون (Wallons) الناطقين باللغة الفرنسية في شمالها، إلى سكان الفلامان (Flamands)، لتكوين دولة بلجيكا فان بريطانيا أبدت مساندتها إلى احتلال فرنسا للجزائر³.

المحاضرة التاسعة:

موقف دول أوروبا الشرقية والغربية من الاحتلال الفرنسي للجزائر.

كانت العلاقات الجزائرية مع الدول الأوروبية ذات مدى واسع في البحر الأبيض المتوسط حيث شهدت هذه العلاقات خلال فترة حكم الدايات (1671- 1830م) علاقات تخللتها فترات مختلفة من الحرب والسلم باستثناء اسبانيا التي واصلت حروبها ضد الجزائر إلى أواخر القرن 18م.

¹ أحمد مسعودي، المرجع السابق، ص172.

² الياس نايت قاسي، المرجع السابق، ص189.

³ Ch. Vandermotten , Op.cit,p03-04.

1- الموقف الروسي من الاحتلال :

يظهر الموقف الروسي حول الاحتلال الفرنسي للجزائر من خلال الاتفاق المبرم بين نابليون الأول مع القيصر الكسندر في معاهدة تلسيت "Tilsit"¹ يمكن الاستيلاء على الجزائر واقاليمها عندما يكون مستعدا لذلك وجعلها مستعمرة او دولة تابعة لفرنسا، ورسالة الملك الفرنسي شارل العاشر الموجهة لجميع الدول الأوروبية في 12 مارس 1830 قائلا فيها: " ان غزو الجزائر في صالح المسيحية كلها"².

بارك القيصر الروسي نيقولا الأول الاحتلال الفرنسي للجزائر ومنح تأييده دون تحفظ وشارك الضابط المتخصص في الشؤون المالية فيلوسلوف في الحملة الفرنسية على الجزائر³، وشجعت الاحتلال من خلال ردة الفعل من طرف القيصر الكسندر الأول حول طلب السفير البريطاني لمعارضة المشروع الفرنسي مجيبا إياه ان روسيا ليس لديها أي اعتراض اتجاه الحملة الفرنسية.

ويبين تصريح القيصر الروسي للسفير الفرنسي لافيروني في جويلية 1821م الانحياز التام للمشروع الاستعماري الفرنسي بالجزائر صرح بما يلي: " ما عليها الا ان تفتح البركار من مضيق جبل طارق الى الدردنيل وتستطيع ان تعتمد في هذا المجال ليس فقط على تأييد روسيا بل وعلى اعانتها الجدية والفعالة." كانت روسيا ترى ان هناك تقارب بين القاهرة وباريس من شأنه ان يؤثر على مطامحها في المضائق⁴، وتسليط فرنسا لمنافسة إنجلترا في البحر الأبيض المتوسط وجعل الجزائر كقاعدة تجارية وحربية تسمح من خلالها السيطرة على الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط حتى تتوسع في افريقيا وتبعد انظارها من المنطقة الشرقية الأوروبية حتى تتخلص من خطرها، حيث يصرح السفير الفرنسي في سان بطرسبرغ

1 - جون بول وولف، الجزائر وأوروبا، ترجمة أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص443.

2 - مولود قاسم نايت بلقاسم، المرجع السابق، ص 40.

3 - صلاح العقاد، المغرب العربي الحديث والمعاصر الجزائر تونس المغرب الأقصى، مكتبة الانجلو مصرية، القاهرة، 1993، ص85.

4 - زروال محمد، المرجع السابق، ص84-85.

ان روسيا تنظر بعين الارتياح لان تحتفظ فرنسا لنفسها في الجزائر بمركز تكون من المنعة بحيث تؤمن نهائيا سلامة الملاحة في البحر المتوسط¹.

إن روسيا لم تكن ترى أن هناك أي مانع من احتلال فرنسا للجزائر، لأن اهتمامها كان منصبا على منطقة البلقان، وصرحت روسيا بأنها تنظر بعين الرضا إلى احتفاظ فرنسا بمركز قوي في الجزائر، لصيانة امن الملاحة في البحر الأبيض المتوسط، لأنها ترى في ذلك تقليل لاهتمام فرنسا بالشرق والبلقان لأنها محط أنظار روسيا، كما أملت أن تحظى بدعم فرنسا لأطماعها في الدولة العثمانية وتهديد المصالح البريطانية بالبحر المتوسط².

كما أثارت ثورة جويلية بباريس مخاوف الحكومة الروسية مما جعلها تطلب من الباب العالي، الذي كان كثير الانصياع لها أن يلتزم الصمت حتى تتضح الأمور خوفا، من أن يؤثر ذلك على الحكومة الفرنسية فتغير رأيها حول الاحتلال.

2- موقف النمسا من الاحتلال:

كان الموقف النمساوي حياديا في ظل الظروف الداخلية الصعبة التي تعيشها، فعملت على مجاراة حليفاتها روسيا وبروسيا في تأييد الخطوة الفرنسية، فقد أعطت اهتماما كبيرا للحملة الفرنسية على الجزائر، حيث كانت تراقب نشاطات الحكومة الفرنسية حول القضية الفرنسية، ودعمتها بالضابط فريديريك سلوارترز امبورغ³.

وكان رئيس الوزراء النمساوي مترنيخ رغم ميوله للموقف البريطاني والعمل على استقرار الأوضاع بأوروبا، إلا انه كان يهدف وحكومته الى تحويل اهتمام فرنسا إلى التوسع خارج أوروبا⁴، لأن من مصلحتها ان تبقى الامور على حالها، ولما اطاحت ثورة جويلية بنظام شارل

1 - عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج03، ص 40.

2 - بشير بلاح، المرجع السابق، ص58.

3 - مسعودي احمد، المرجع السابق، ص178.

4 - بشير بلاح، المرجع السابق، ص59.

العشر في فرنسا 1830م تخوفت الحكومة النمساوية من انتشار الثورة اليها وأسرت الى عقد معاهدة دفاعية مع روسيا وبروسيا للمحافظة على النظام القائم وطلبت من الدولة العثمانية ان لا تسرع في المطالبة باسترجاع الجزائر حتى تتمكن الحكومة الجديدة الاحتفاظ بالجزائر¹.

3- موقف بروسيا من الاحتلال الفرنسي للجزائر.

لم تعارض بروسيا احتلال فرنسا للجزائر²، لأنه فيه ابعاد للجيش الفرنسية من أوروبا التي تطمح بروسيا لتزعمها³، ويؤكد هذا الموقف تصريح وزير الخارجية البروسي للسفير الفرنسي: ان مجرد استيلائكم على الجزائر لا ينبغي ان يخدمكم بانكم حطتم الى الابد المغاربة، انكم لن تحققوا اهدافكم الا بالحصول على تعويض ارضي مناسب والا فالإقامة نهائيا في هذه البلاد⁴. "وموافقة فريديريك الثالث على مشروع الحملة ما هو الا تحويل وجهة فرنسا على منطقتي الراين وبلجيكا ونفس الموقف مع بلدان أوروبا الشمالية⁵، ولا سيما السويد⁶.

وكانت تطمح من خلال هذه السياسة لتحويل انظار فرنسا عن منطقة الراين الى مناطق أخرى بعيدة عن أوروبا⁷، كما عرضت خدمات ضباطها لفرنسا تحت ضغط حليفها روسيا، وفي الأخير ما تبقى من دول أوروبا ساندت دول السويد والدانمارك وهولندا الحملة الفرنسية على الجزائر ماديا وبشريا⁸.

- الموقف السويدي من الاحتلال الفرنسي:

-
- 1 - مسعودي احمد، المرجع السابق، ص179.
 - 2 - جون بول وولف، المرجع السابق، ص451.
 - 3 - سماعيل زوليخة، المرجع السابق، ص367.
 - 4 - عزت عبد الكريم احمد، دراسات في تاريخ العرب الحديث، دار النهضة العربية، بيروت، 1970، ص398-399.
 - 5 - خير الدين فارس، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني الى الاحتلال الفرنسي، مطابع ألف باء الاديب، دمشق، 1969، ص186.
 - 6 - عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج03 المرجع السابق، ص85.
 - 7 - مسعودي احمد، المرجع السابق، ص179.
 - 8 - بشير بلاح، المرجع السابق، ص59.

يتبين الموقف من خلال تصريح الكاتب السويسري جان شارل سيسموندي " J.Ch.Sismondi "1: " ان الجزائر لن نحتلها فقط بل نستعمرها وسنجعل منها بلد اخر يستقر به الزائد من سكاننا وينشر فيه الفائض من نشاط بلادنا في مختلف الميادين². "

ويصرح كذلك رئيس مجلس النواب بعد الانتصار التي حققته الحملة الفرنسية على الجزائر: "لقد توج منذ حين نجاح مرغوب فيه جدا العملية المجيدة التي جرت في أقوى دولة افريقية وملاذ اللصوصية، ان هذه العملية التي يرجى منها استتباب الأمن في البحر المتوسط ستضفي إلى كسر الاغلال المعدة للعبيد وسترجع السلم والمدينة الى تلك الضفاف الذائعة الصيت في العصور القديمة"³.

من خلال هذين التصريحين نستنتج أن الموقف السويسري كان يؤيد الحملة الفرنسية على الجزائر ويشجعها، ويرى فيها مستعمرة جديدة في افريقيا، ومجال واسع للتجارة وازدهار للاقتصاد الدولي الأوروبي في البحر الأبيض المتوسط كمجال للهجرة والاستثمار والاستيطان، من خلال تشجيع عملية الهجرة واستغلال الأرض في الجزائر والتخلص من الفائض الديمغرافي والسكاني، والعمل الى استرجاع الامن والاستقرار بأوروبا، كما لا بد من استغلال التاريخ في الاحتلال الفرنسي للجزائر من خلال الرجوع للتاريخ القديم.

¹ جون شارل سيسموندي: ولد المفكر الاقتصادي السويسري في 9 ماي 1773، بمدينة جنيف تأثر بأفكار آدم سميث في البداية وكان من أنصاره، ولكنه انتهى معارضا لها؛ انتقد مبدأ الحرية الاقتصادية، وأنكر وجود انسجام بين مصلحة الأفراد ومصلحة الجماعة، وقد دعى إلى ضرورة تدخّل الدولة لضمان عدالة في التوزيع، وتحقيق رفاهية السكان، وبهذا عدت أفكاره ممهّدة لفكرة الضمان الاجتماعي، ويعدّ من أوائل الاقتصاديين الذين اهتمّوا بدراسة الأزمات الاقتصادية؛ (من مؤلفاته نذكر: "المبادئ الجديدة للاقتصاد السياسي" (1819)، و"تاريخ الجمهوريات الإيطالية في العصور الوسطى" (16 مجلدا) -1809-1818. ينظر: عبد الوهاب الكيالي، الموسوعة السياسية، ج3، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1985، ص405.

² عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج04، ص43.

³ ارزقي شويتم، دراسات ووثائق في تاريخ الجزائر السياسي والعسكري الفترة العثمانية 1519-1830، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2010، ص140.

المحاضرة العاشرة:

الموقف الاسباني من الاحتلال الفرنسي للجزائر.

- 1-1 - الموقف الاسباني:

ارتبط التواجد الاسباني في حوض البحر الأبيض المتوسط بنهاية الحكم الإسلامي بعد سقوط مدينة غرناطة في سنة 1492م كأخر معقل للمسلمين بالجزيرة الأيبيرية، وتنفيذا لسياستها الاستعمارية قامت اسبانيا توجيه انظارها نحو سواحل شمال افريقيا تنفيذا لوصية الملكة ايزابيلا (Isabel) لخليفتها، لتجعل حوض البحر الأبيض المتوسط بحرا اسبانيا، حيث كانت تنوي امتلاكها الساحل الجنوبي من إيطاليا وجزره صقلية سردينيا وكورسيكا تشكل وحدة اقتصادية قوامها الاتصال المباشر بين شمال البحر المتوسط وجنوبه في الحوض الغربي منه¹.

كما ان الروح الدينية كانت محركا أساسيا للسياسة الاسبانية اتجاه المسلمين، والتي تميزت بالتعصب الديني الصليبي، ونتيجة لضعف بلاد المغرب وصراع دويلاته، هيأت تلك الظروف للتدخل الاسباني في حملات عسكرية واحتلال عدة سواحل شمالية لبلدان المغرب والجزائر، احتلت المرسى الكبير سنة 1505م ووهران 1509م وبجاية 1510م واعترفت امارة بني زيان بهذا الاحتلال سنة 1512م².

¹ يحي بوعزيز، علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوروبا 1500-1830، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1985، ص10.

² C. Khel, Oran et l'oranie avant l'occupation française, L.Foque, 1942, p.25.

ويعود ذلك الاحتلال الاسباني لوهرا ن والمرسى الكبير خلال القرن 16م الذي دام حوالي ثلاثة قرون من الزمن 1505-1792م، هذه العلاقات الاسبانية الجزائرية كانت قبل فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830م والتي أقرتها العلاقات التجارية بين اسبانيا ووهرا ن وفق اتفاقية سنة 1791م مع الباي محمد الكبير¹.

شهدت العلاقات الجزائرية الاسبانية حروب متواصلة الى غاية نهاية القرن 18م بسبب السيطرة الاسبانية على مدينة وهران الى غاية 1792م، مع قيام اسبانيا بحملات متكررة على مدين الجزائر أولى حملاتها كانت بقيادة الجنرال اوريلي في 31 جويلية 1775م استمرت الحملة مدة 11 يوما انتهت بهزيمة اسبانيا²، واجبرت على الرضوخ ورفض عثمان باشا التفاوض مع الاسبان لإقامة الصلح بالرغم من تدخل الدولة العثمانية وهذا ما اضطر الاسبان لشن حملة ثانية على الجزائر سنة في 31 جويلية 1783م بقيادة دوانطونيو الذي قصف مدينة الجزائر مدة 10 أيام ولكن فشلت هذه الحملة الاسبانية³، وأعاد دوانطونيو حملته على الجزائر من 11 جويلية الى 21 جويلية 1784م⁴ ولكن فشلت هذه الحملات المتكررة، وبعدها قررت اسباني عقد الصلح مع الجزائر في شهر اوت 1785م لإعادة الاستقرار والهدوء بالبحر الأبيض المتوسط⁵.

سعت الجزائر بعدها الى تحرير مدينة وهران من الاحتلال الاسباني وتم تحرير وهران نهائيا سنة 1792م واعلنها عاصمة لبايك الغرب⁶.

ساندت اسبانيا الحملة الفرنسية على الجزائر من خلال العديد من المعطيات أهمها:

1- السماح للسفن الحربية الفرنسية الرسو بميناء الملويان الاسباني بجزر الباليار.

¹ - معاهدة اقرت الجلاء الاسباني من مدينة وهران والمرسى الكبير مع إعطاء امتيازات تجارية للإسبان والسماح لهم باصطياد المرجان بسواحل الغرب الجزائري وتأسيس مركز تجاري بجامع الغزوات مقابل دفع 120 جنية كل عام، ينظر، احمد توفيق المدني، حرب ثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا 1492-1792، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 526.

² - يحي وعزيز، المراسلات الجزائرية الاسبانية في أرشيف التاريخ الوطني لمدريد 1870-1898، المرجع السابق، ص 22.

³ - احمد توفيق المدني، حرب ثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا، المرجع السابق، ص 513-514.

⁴ - صالح عباد، المرجع السابق، ص 170-171.

⁵ - يحي وعزيز، المراسلات الجزائرية الاسبانية في أرشيف التاريخ الوطني لمدريد 1870-1898، المرجع السابق، ص 38-44.

⁶ - جمال قنان، المرجع السابق، ص 52.

2- تأمين اسباني لفرنسا مستشفى عسكري بمنطقة ماهون (Mahon) الاسبانية لمعالجة الجرحى الفرنسيين خلال الحملة الفرنسية على الجزائر المصابين في معاركهم ضد المقاومة الجزائرية.

3- تأييد الحكومة الاسبانية فرنسا في معاركها ضد الجزائر وقدمت مساعدات مادية ومعنوية للجيش الفرنسي في مواصلة عملية الاحتلال والتوسع.

4- تجنيد فرق عسكرية اسبانية ضمن الجيش الفرنسي خدمة للمصالح الفرنسية في الجزائر¹.

مع بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830 منح لاسبان فرصة لإحياء تواجدهم القديم بالمناطق الجزائرية وخاصة الغربية منها عن طريق الهجرة الاسبانية للمنطقة الغربية للجزائر لاعتبارات تاريخية والقرب الجغرافي وإمكانية التأقلم مع المناخ.

ساندت الحكومة الإسبانية القوات الفرنسية في حملتها ضد الجزائر من خلال السماح للسفن الحربية الفرنسية الرسو بميناء الملويان بجزر الباليار، كما أمنت لها مستشفى عسكري بماهون "Mahon" لمعالجة الجرحى من الجنود الفرنسيين الذين قد أصيبوا بجروح في معاركهم ضد المقاومة الجزائرية، وكان ميناء ماهون بمثابة محطة مرور الحملة الفرنسية على الجزائر سنة 1830م، مما أدى بالسكان الماهويين لمرافقة جيش الاحتلال والدخول إلى الجزائر حيث كانت مينورقة قاعدة لتموين تلك الجيوش².

لقد أيدت الحكومة الإسبانية فرنسا في معاركها ضد الشعب الجزائري وقدمت مساعدات مادية ومعنوية للجيش الفرنسي في مواجهة المقاومة الجزائرية، كما جند الإسبان خدمة للمصالح الفرنسية بالجزائر³، كان الموقف الاسباني يشجع الحملة الفرنسية على الجزائر من خلال مساهمته الفعالة المادية والمعنوية والبشرية في إنجاح الحملة في ظل تجدد الحروب الصليبية واذكاء روح الانتقام من المسلمين بشمال افريقيا، وللحملات الاسبانية الفاشلة لاحتلال الجزائر، الى جانب استرجاع مكائنها بعد طردها من مدينة وهران.

¹ صلاح العقاد، المرجع السابق، ص86.

² قنون حياة، اللاجنئون السياسيون الاسبان في الغرب الجزائري 1936-1962، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث

والمعاصر، اشراف فغور دحو، جامعة وهران، 2010-2011، ص39.

³ يحي بوعزيز، الجديد في علاقات الأمير عبد القادر مع اسبانيا وحكامها العسكريين بمليية، دار البعث للطباعة والنشر، ط1، الجزائر، 1962، ص. 104.

المحاضرة الحادي عشر:

موقف الدويلات الايطالية من الاحتلال الفرنسي للجزائر.

- موقف الدويلات الايطالية:

اتسمت العلاقات الجزائرية مع الدويلات الإيطالية بالطابع السلمي في ظل التبادل التجاري والفكري الثقافي قبل ظهور ذلك التنافس الأوروبي ضد الجزائر وتحالف البابوية ضد العالم الإسلامي فتغير موقف الدويلات الإيطالية اتجاه الجزائر وتوترت العلاقات بين الطرفين من خلال ابرام عدة اتفاقيات أهمها معاهدة الهدنة بين بابا علي وفرديناند الرابع 1763م ومعاهدة السلم مع الصقليتين 1816م وظلت العلاقة متوترة بعد انضمام الدويلات الإيطالية الى الحلف السباعي العسكري ضد الجزائر¹.

وقد جمعت الجزائر علاقتها مع الكنيسة البابوية في إطار سلسلة من التحالفات الحروب الصليبية من طرف ملوك الاسبان فرديناند وايزابيلا والذين شجعوا فرنسا للقضاء على الجزائر من خلال مشاركتهم في عدة

¹ - مولود قاسم نايت بلقاسم، المرجع السابق، ص 85- 88.

حملات عسكرية أهمها حملة شارل الخامس 1541م ومعركة ليبانت 1571م وبعث ارساليات تبشيرية للتجسس على الجزائر¹.

استفادت الدولة الفرنسية من دعم دولي من أجل احتلال الجزائر، فملك سردينيا شارل فليكس Charles.Felix كان يريد التخلص من الجزية السنوية التي يدفعها إلى حكومة الداى في الجزائر، كما كان لا يمانع نمو القوة البحرية الفرنسية بالبحر الأبيض المتوسط، فاقترح ضم الجزائر إلى فرسان القديس يوحنا، أما حكومة البيمونت فلقد ساعدت فرنسا بتزويدها بمعلومات إضافية من خلال قنصلها في الجزائر².

ولقد سمح البابا بيونس الثامن للحكومة الفرنسية باستخدام موانئ بلاده، وكذلك فعل ملك نابولي الذي رخص لتجار بلاده أن يؤجروا سفنهم للجيش الفرنسي، كما وافقت جميع بلدان شمال أوروبا، والدويلات الإيطالية على الحملة الفرنسية لاحتلال الجزائر، وسارعت لتهنئة ملك فرنسا شارل العاشر على مشروعه الذي كانت تعتبره خدمة للمسيحية³.

إلى جانب دعم كل من النمسا وروسيا في إطار المسألة الشرقية والعداء القديم مع الدولة العثمانية، مع مباركة البابا للحملة فالفرنسيين استقدموا وجندوا رجال الدين في كل وحداتهم العسكرية ودفعهم إلى رفع معنويات الجنود الفرنسيين وتشجيعهم للقتل والإبادة.

¹ - كليل صالح، سياسة خير الدين في مواجهة المشروع الاسباني لاحتلال المغرب الاوسط، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة باتنة، 2006-2007، ص 189.

²-Ch.- A. Julien, *Histoire de l'Algérie contemporaine conquête et colonisation (1827- 1871)*, éd. PUF, Paris.1969, p.42.

³ - زروال محمد، المرجع السابق، ص 124-125.

المحاضرة الثانية عشر:

الموقف الأمريكي من الاحتلال الفرنسي للجزائر.

اعترفت الجزائر بالثورة الأمريكية 1775م، واستقلال الولايات المتحدة الأمريكية سنة 1776م، بينما كانت أمريكا من بين الدول التي ايدت الاحتلال الفرنسي للجزائر، ويتضح الموقف الأمريكي اتجاه الجزائر قبل سنة 1830م عندما نصح الرئيس الأمريكي جورج واشنطن من الملك الفرنسي بغزو الجزائر، ويتجسد هذا الموقف في تقرير القنصل الأمريكي سنة 1826 يؤكد فيها إمكانية احتلال الجزائر والهجوم عليهم من الخلف¹، بعد استبدال معاهدة 1795م بمعاهدتي 1815-1816م، والتي أوصى فيها باستعمار الجزائر².

كما اعتبرت أمريكا الأرض الجزائرية خصبة للاستيطان وركزت على البعد الصليبي للحملة لذا ايدت فرنسا في عملية الاحتلال رغبة في مصالحها، وتشير التفاصيل، التي قدمها القنصل الأمريكي هنري لي "Henry Lee"³ في الجزائر حول الحملة الفرنسية ووصفه للإنزال البحري بشاطئ سيدي فرج والتخطيطات الفرنسية بقيادة الجنرال دييورمون وتفاصيل معركة سطاوالي في 19 جوان الى غاية 29 جوان 1830م.⁴

ساندت الولايات المتحدة الأمريكية فرنسا في عملية الاحتلال، من خلال موقفها الذي كان يسعى للقضاء على قوة البحرية العثمانية في الجزائر وسيطرتها على البحر الأبيض المتوسط،

¹ - عبد الرحمن الجليلي المرجع السابق، ج4، ص 42.
² - علي تابلت، العلاقات الجزائرية الأمريكية 1776-1830، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، 2006-2007، ص 469.
³ - هنري لي: من عائلة أمريكية مرموقة عمل بالسياسة لفترة طويلة انتخب عضوا في مجلس ولاية فرجينيا التحق بالقوة المسلحة الأمريكية حصل على رتبة رائد شارك في الحرب الأمريكية البريطانية له عدة مقالات وكتب منها كتاب حرب الاستقلال الأمريكية. ينظر: علي تابلت، المرجع السابق، ص 307-308.
⁴ - نفسه، ص 308-309.

من خلال الاتوات التي كانت تدفعها أمريكا مقابل مرورها في حوض البحر الأبيض المتوسط، ومن أجل المحافظة على مصالحها الاقتصادية والسياسية وتشجيعها لفرنسا لاحتلال الجزائر لما تحققة لها من امتيازات.

-المحاضرة الثالثة عشر:

الموقف التونسي من الاحتلال الفرنسي للجزائر.

1- الموقف العربي.

عرفت العلاقات الجزائرية مع الدول المغاربية "تونس - المغرب - طرابلس الغرب"، فترات متباينة بين الصراع والهدنة والسلم بحسب طبيعة العلاقات التي كانت تربط الجزائر مع هذه الدول، وحسب الظروف الدولية التي كانت لديها تأثيرات داخلية وخارجية على طبيعة تلك العلاقات، وخاصة في البحر الأبيض المتوسط ومحاولة الدول الأوروبية لبسط نفوذها وسيطرتها البحرية والإقليمية بالمنطقة.

1-1- العلاقات الجزائرية التونسية خلال العهد العثماني.

اتسمت العلاقات الجزائرية التونسية خلال الفترة الأخيرة من التواجد العثماني في الجزائر بظروف غير عادية، حيث عرفت فترات حرب وفترات سلم تخللتها مجموعة من الاتفاقيات بين الطرفين، حيث تم إبرام معاهدة سنة 1614م بين الجزائر وتونس، تنص بنودها على تحديد الحدود الفاصلة، وبعدها تم خرق المعاهدة وجهت الجزائر حملة ضد تونس في ماي 1628م، تم من خلالها ضبط الحدود بواد سرات الحد الفاصل بين البلدين¹، إلا أن الصراع ظل متواصلا بين الطرفين، وخاصة بعد هجوم مراد الثالث على مدينة قسنطينة سنة في 03 أكتوبر 1700م قصد ضمها إلى تونس².

وفي سنة 1705م بعدما اعتلت الأسرة الحسينية سدة الحكم بتونس، بقيت محافظة على نفس النهج المتبع في علاقاتها مع الجزائر، بين الحرب والسلم، وبقيت السيطرة على تونس في الفترة الممتدة ما بين 1756-1805م والتي تميزت بسياسة اتباعها الدايات تلزم تونس بالوفاء للشروط المفروضة عليها، وخاصة بعد الحملة العسكرية على تونس 1756م³.

كانت الايالة التونسية تابعة لنظام الحكم العثماني بعد تحريرها من الاحتلال الاسباني، وفي سنة 1574م أرسلت بعثة تونسية الى السلطان سليمان القانوني تطلب منه كسر التبعية والخضوع التونسي للجزائر، وبدا الصراع التونسي الجزائري حول مسالة الحدود، وزادت

¹-E.Mercier, Histoire de Constantine, J. Marle et F. Biron, Imprimeurs-Editeurs, Constantine, 1903 p.221- 222.

²-H.Garrot, Histoire général de l'Algérie, Imprimeurs. P.Roscenzo, Alger,1910, p.554.

³ - عمر بن خروف، علاقة الجزائر السياسية مع تونس في عهد الدايات 1671-1830، مجلة الدراسات التاريخية، العدد، الجزائر، 1997، ص397.

الأوضاع تأزما بين الطرفين هذا ما دفع الداى شعبان للتوسع على تونس سنة 1694 قصد تأديبها ونجح في مهمته.

تواصلت الحملات العسكرية للحكام العثمانيين بالجزائر على تونس، ولكن هذه الحملات مؤقتة كانت تنتهي باتفاقيات صلح يشارك فيها المشايخ والاعيان ليعود الأمن والسلام¹.

بقيت السلطة العثمانية بالجزائر تهيمن على الوضع في تونس، وخاصة خلال المرحلة التاريخية 1756-1805م، ويعود اتباع تلك السياسة من طرف دايات الجزائر مدة خمسين سنة، في إلزام إيالة تونس للشروط المفروضة عليها منذ نجاح الحملة عليها سنة 1756م².

تميزت الفترة الممتدة ما بين 1815-1830م جنوح كل من الجزائر وتونس الى السلم للظروف الصعبة التي كانت تعيشها الجزائر في وضعها الداخلي والخارجي، تميزت فترة الداى عمر 1815-1816م بالسلم نظرا للمخاطر الخارجية والطاعون الذي أدى إلى تدهور الوضع الاجتماعي سنة 1816م.

كما تميز حكم علي خوجة الذي دام سنة واحدة بالمهادنة والسلم مع تونس، كما تدخلت الدولة العثمانية للمصالحة بين الجزائر وتونس في عهد السلطان محمود الثاني في عقد الصلح بين الطرفين سنة 1817م، ولكن لم يلق استجابة حيث إلى غاية حكم الداى حسين(1818-1830) لم يتم توقيع الصلح إلى غاية 1821م³، اتسمت فترة حكم حسين باي في سنة 1824م⁴، بالسلم والحذر في نفس الوقت، وخاصة بعد الحصار الفرنسي للسواحل الجزائرية في سنة 1827م، والتي أظهر فيها الباى التونسي موقف حيادي لفترة، بينما قامت السلطات التونسية بإمداد جيش الاحتلال الفرنسي بالموئن خلال الحملة الفرنسية على الجزائر⁵.

¹ ابن ابي دينار القيرواني، المؤنس في تاريخ افريقيا وتونس، تحقيق محمد شمام، المكتبة العتيقة، تونس، 1967، ص 208.

² عمر بن خروف، المرجع السابق، ص397.

³ صغيري سفيان، المرجع السابق، ص96-98.

⁴ الأسرة الحسينية تنسب إلى مؤسسها الحسين بن علي الذي حكم من 15-07-1705م إلى غاية 07-09-1735م، واستمر حكم الحسينيين القرنين والنصف من الزمن، ينظر : إسماعيل احمد ياغي، العالم العربي في التاريخ الحديث، مطبعة العبيكان، الرياض ، ط1، 1997، ص 138-139.

⁵ عبد الرحمن الجيلالي ، المرجع السابق، ج4، ص 224-225 .

أيدت السلطات التونسية الاحتلال الفرنسي للجزائر ، ورفضت مساعدة الداي حسين ضد قوات الاحتلال الفرنسي بعد رسالته للباي التونسي التي رفض فيها مسانדתه¹، وابدى استعداداه لفتح أراضييه من لجيش الاحتلال الفرنسي²، وقام بتمويل الحملة بالماشية ومنع تهريب البارود من طبرقة الى قسنطينة³، كما قام بتجهيز أربعة زوارق مدفعية لحماية الاسطول الفرنسي من ضربات السفن العثمانية بالجزائر⁴ ، حيث اتخذت فرنسا من تونس قاعدة لتحركاتها ودراسة الوضع في الجزائر قبل الاحتلال اذ اوفدت مجموعة من المخبزين في افريل 1830م إلى تونس لهم دراية بالثقافة العربية الإسلامية قام هؤلاء المستشرقين بعمل كبير لصالح عملية الاحتلال، واطلعوا حكام تونس بالحملة وأهدافها وتوصلوا لمعرفة العوامل الممكنة لنجاحها، وهددوا حاكم تونس باستعمال القوة في حالة مساعدته الجزائر⁵.

ومن تراب نيابة تونس قامت قيادة الجيش الفرنسي بتوزيع مناشير باللغة العربية تدعوا فيها الجزائريين للاستسلام والتعاون مع الجيش الفرنسي مقابل احترام السلطات الفرنسية لأملاك العرب⁶. كما قام الباي التونسي بمنع مبعوث الدولة العثمانية الى الجزائر طاهر باشا من المرور بالأراضي التونسية للدخول الى الجزائر وهذا ما أدى الى فشل المبعوث في مهمته لإقناع الداي بالشروط الفرنسية وانهاء الحصار الفرنسي على الجزائر⁷.

وبعد سقوط مدينة الجزائر 1830م قام الباي التونسي بتهنئة الجنرال ديورمون بنجاح الحملة واحتلاله للجزائر⁸ كما بعث الباي حسن رسالة الى القنصل الفرنسي رسالة يتمنى فيها النصر للامة الفرنسية مصرحا: "انني أتمنى النصر للامة الفرنسيةوليس أشد تشوقا مني

¹ - محفوظ قداش، جزائر الجزائريين تاريخ الجزائر 1830-1954م، ترجمة محمد المعراجي، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الجزائر، 2008 ص15.

² - احمد مسعودي، المرجع السابق، ص 60.

³ - بشير بلاح، المرجع السابق، ص 60.

⁴ - حنفي هلايلي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار الهدى، الجزائر، 2008، ص 53.

⁵ - حميدة عميراي، علاقات بايلك الشرق الجزائري بتونس أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي، دار البعث، قسنطينة، 2002، ص 66-67.

⁶ - محمد زروال، المرجع السابق، ص 137.

⁷ - حنفي هلايلي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، المرجع السابق، ص 53.

⁸ - L.Péchet, Histoire de l'Afrique du nord avant 1830, Gojoso. Imprimeurs. Editeur., Alger, 1914, p.205.

في معاقبة عدوها الظالم داي الجزائر¹، أيدت الحكومة التونسية الاحتلال الفرنسي للجزائر، وقدمت تسهيلات لغزو الجزائر حيث مولت الحملة الفرنسية بالماشية².

كما فتحت تونس أراضيها أمام جيش الاحتلال الفرنسي لمهاجمة الجزائر من الناحية الشرقية، ومن الدوافع الرئيسية لهذا الموقف السلبي التونسي اتجاه غزو فرنسا للجزائر نتيجة العلاقات المتوترة بين الطرفين، والحروب الطويلة التي كانت بينهما، إلا بعدما توسطت الدولة العثمانية لإبرام الصلح بينهما سنة 1821م³، وبعد إنهاء الحملة أرسل الباي تونس وفد للقيادة الفرنسية يقدم تهانيه لما قدمه جيش الاحتلال الفرنسي، كما ساندت الحكومة التونسية الجواسيس الفرنسيين بالجزائر، وكانت تحركات قنصل فرنسا بتونس منسقة مع أجهزة الحملة، والجواسيس والمفاوضون الذين تسربوا نحو قسنطينة وعنابة نظرا لتواجد مصالح اقتصادية وتجارية بمنطقة عنابة والقالمة⁴.

يرجع تردي العلاقات التونسية الجزائرية الى مجموعة من الدوافع الرئيسية التي أدت الى الموقف السلبي الرسمي التونسي اتجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر أهمها:

- الصراع بين السلطتين ومحاولة التوسع.

- أطماع حسن باي التوسعية على حساب الأراضي الجزائرية، وضم إقليم قسنطينة ومنحه لاحد افراد عائلته.

- تخوف الباي التونسي من الاطماع الفرنسية التوسعية.

- العلاقات التجارية الفرنسية التونسية وتورط الباي في ديون لصالح تجار فرنسا سنة

1829م.

¹ حميدة عمير اوي، علاقات بايالك الشرق الجزائري بتونس أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي، المرجع السابق، ص 60.

² بشير بلاح، تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1989، ج1، دار المعرفة، الجزائر، 2006، ص68.

³ أحمد الشريف الزهار، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب اشراف الجزائر 1754-1830، تقديم امد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص147.

⁴ أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج1، المرجع السابق، ص33.

- ضعف الأسطول العثمانية .

- الأزمة الاقتصادية التونسية¹.

1-2- العلاقات الجزائرية التونسية خلال الاحتلال الفرنسي للجزائر 1830م.

قامت قوات الاحتلال الفرنسي بعد احتلال مدينة الجزائر بالتوسع نحو الغرب الجزائري²، ومن بين أولويات الحملة الفرنسية هو احتلال مدينة وهران التي كانت تحت قيادة الباي حسن³، وذلك نظرا لموقعها الاستراتيجي فكانت عملية احتلالها في غاية الأهمية لتوسيع نطاق الاحتلال بمنطقة الغرب الجزائري⁴، فمواجهة قوات جيش الاحتلال الفرنسي من قبل قوات الباي التي كان تعدادها حوالي 800 مقاتل يعتبر أمرا في غاية الصعوبة⁵، نظرا للعلاقة السيئة التي كانت تربط الباي مع قبائل المنطقة.

بعث الجنرال ديبورمون ابنه أميدي Amedié لقيادة قواته العسكرية إلى وهران فوصل المرسى الكبير في 13 أوت 1830م، حيث قام بربط اتصالات مع الباي، الذي لم يظهر أي ردة فعل للتوغل الفرنسي بالمنطقة، واقترح على القائد الفرنسي مقابل البقاء في منصبه يقوم بدفع الضرائب للسلطات الفرنسية⁶.

¹ - حميدة عمير اوي، علاقات بايلك الشرق الجزائري بتونس أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي، المرجع السابق، ص 65-66.

² G.Esquer, La prise d'Alger 1830, op.cit, p.312.

⁴ الباي حسن: ولد في حوالي سنة 1850، أصله من الأناضول، عمل كجندي في صفوف الحامية العثمانية بتلمسان، وبعد أن أنهى خدمته العسكرية مارس التجارة، حيث كان له دكان لبيع التبغ في جوار المسجد الكبير في مدينة وهران. و نظرا لفطنته أثار إعجاب الباي بوكابوس الذي أوصى له بالحكم من بعده، فأصبح بايا لبائلك الغرب الجزائري في 1827م، و بعد الاحتلال الفرنسي لمدينة وهران، رحل إلى الإسكندرية التي انتقل منها إلى مكة التي توفي بها. ينظر:

- M.Lapène, Tableau historique de la Province d'Oran 1791-1851, éd. Lamort, Metz, 1842, p.26.

⁴P. Gaffarele, L'Algérie Histoire Conquête Colonisation, Librairie FirminDidot,Paris, 1883, p.100.

⁵ - Pellissier.R, Annales Algériennes, T1, Librairie Militaire, Paris, 1854, P.108.

⁶ M. Lapène, Op.cit, p.30.

وفي أواخر شهر أوت 1830م تم انسحاب قوات الاحتلال الفرنسي من ميناء المرسى الكبير¹، وبعدها تولي الجنرال كلوازل² Clauzel قيادة قوات الاحتلال الفرنسي في الجزائر في 03 سبتمبر 1830م، بعث قوات إلى وهران كانت بقيادة الجنرال دامريمون Damrémont³ في 11 ديسمبر 1830م⁴، فتمكن من احتلال المرسى الكبير وحصن سانت فريفوري في 14 ديسمبر من دون أي مقاومة.

واستطاع الجنرال من احتلال معظم الحصون المحيطة بالمدينة، واستغل في 14 جانفي 1831م فرصة مغادرة قبائل المخزن لأسوار وهران نحو تلمسان، ليحتل المدينة من دون أية ردة فعل لصد قواته⁵، فقد أعلن الباي حسن استسلامه للقائد الفرنسي، ومن نتائج الاحتلال الفرنسي للمنطقة هو هجرة معظم سكان مدينة وهران نحو تلمسان وضواحيها⁶.

1-3-التدخل التونسي بوهران:

تمت الحماية التونسية على وهران وفق اتفاقية عقدها الجنرال كلوزال مع الباي التونسي في 18 ديسمبر 1830م، بعد معاهدة الاستسلام التي وقعها الداوي حسين، مع الجنرال دييورمون، بعد تخلي الدولة العثمانية الدفاع عن الجزائر، فالاتفاق الفرنسي التونسي الذي يقضي بتولي أحد أفراد الباي التونسي إقليم وهران مقابل دفع مليون فرنك سنويا للحكومة الفرنسية⁷، ولقد لعب القنصل الفرنسي ديليسبس دورا كبيرا في هذا الاتفاق الذي كان يضع إقليم قسنطينة تحت نفس الإطار الذي شهدته وهران. وعلى ضوء هذا الاتفاق، قام الباي أحمد التونسي، وهو من أفراد عائلة باي تونس، بإرسال نائب عنه وعليه تم إرسال الآغا خير الدين⁸، إلى وهران في

1. أبو قاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج1، المرجع السابق، ص.32.
2. كلوزيل: ولد في سنة 1772 بمدينة أرياج الفرنسية، تولى عدة مناصب في السفارات الفرنسية كملحق عسكري وفي 7 أوت 1830 عين على رأس القوات الفرنسية في الجزائر ثم سنة 1835-1837 وفي 12 جانفي 1838 وتوفي في 21 أفريل 1842 ينظر: حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص.209.
1. دامريمون فونتان بلو في سنة - ولد في سنة 1783 بمدينة شامون الفرنسية، تخرج من المدرسة العسكرية: دامريمون ثم جنرالاً في سنة 1821، وفي 13 فيفري 1837 عين 1804، ليشارك بعد ذلك في معارك نابليون رقي عقيدا في سنة 1813، قائدا عاما للقوات الفرنسية بالجزائر، توفي على أسوار مدينة قسنطينة في 12 أكتوبر 1837 D.Henry. ينظر:

Les conquérants de l'Algérie (1830-1852), op.cit, p. 51.

P. Gaffarele, Op.cit, p.103.

⁵.M. Lapène, Op.cit, p.30.

⁶. عبد الرحمن محمد الجيلالي، المرجع السابق، ج 04، ص 18 - 19.

⁷. E. De Reynaud Pillissier, Annales Algériennes, éd. Militaire, Paris, 1854, t. 1, p. 156 -157.

⁸. الآغا خير الدين، من المماليك من اصل شركسي ولد سنة 1822م قدم الى تونس وعمره 17 سنة تلقى قيادة الفرقة برتبة رائد سنة 1840م تولى الوزارة ما بين 1873-1877م، ينظر: الشباني بن بلغيث، الجيش التونسي في عهد محمد الصادق باي 1859-1882، تقديم عبد الجليل التميمي، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، صفاقس، 1995، ص 69.

4 فيفري 1831م مع فرقة عسكرية تتألف من 200 جندي ساندتها الحامية العثمانية بوهران ب:400 جندي وبعض الكراغلة من مستغانم ووهران وتلمسان فوجد الأوضاع بالمدينة لا تساعده على توطيد سلطته، حيث كان أفراد الحامية العثمانية، التابعة للباي حسن السابق، والبالغ عددهم حوالي 800 عنصر، يطالبونه بترحيلهم إلى المشرق، بينما كانت القوات الفرنسية لا تستطيع الخروج من المدينة كما وجد قسبة المدينة التي كانت تضم خزينة الباي، قد تعرضت للتخريب والنهب وأصبحت فارغة من الأموال، كما أن معظم أملاك البايلك بالمدينة، كانت قد سيطر عليها القنصل الإنجليزي بالمدينة مدعيا بأنه قد اشتراها من الباي حسن.

أما قبائل المخزن التي كان يأمل قائم مقام الباي التونسي في مساندتها له كانت قد اتجهت نحو تلمسان، غير أن الأمور سرعان ما أصبحت في صالح التونسيين بعد أن رجعت قبائل المخزن إلى ضواحي وهران، وأبدت رغبتها في التعامل مع الباي التونسي، كما أن حوالي 400 عنصر من أفراد الحامية العثمانية السابقة انضمت إلى التوانسة، قد أبدوا بدورهم رغبتهم في الانضواء تحت لواء الباي التونسي، إلا أن هذا الأخير، لم تكن له الأموال اللازمة لدعم حلفاءه الجدد لكسب ثقتهم، بل حتى قواته بوهران كانت تعاني من قلة المؤن وهو ما دفع خير الدين إلى تسيير حملة في أواخر شهر أفريل 1831 باتجاه مستغانم، تتكون من حوالي 500 مقاتل، فاستولت هذه القوات على حوالي 4000 رأس من الماشية وقتلت العديد من أفراد الدواوير والقبائل الواقعة بين مستغانم ووهران.

وهو ما أدى إلى نقمة معظم سكان المنطقة على التوانسة جراء هذا التصرف، فأصبح تواجدهم بالمنطقة غير مرحب به من قبل سكان المنطقة، إضافة إلى ذلك، فإن الحكومة الفرنسية لم توافق على الاتفاقية التي عقدها كلوزال مع الباي التونسي، وهو الأمر الذي جعلها تعين مكانه الجنرال بارتيزان في 20 فيفري 1831، وزودته الحكومة الفرنسية بأوامر تقضي بفض الإتفاق مع التوانسة، وتحصين مواقع القوات الفرنسية بوهران، وعلى إثر ذلك تم ترحيل التوانسة من وهران، نظرا للتصرفات التعسفية وإرهاق كاهل السكان بجباية الضرائب خدمة لمصالحها ومصالح الجيش الفرنسي الذي ضمن مداخل دون خسائر مادية وبشرية، وقد انسحبت القوات التونسية من المنطقة في 28 أوت 1831م بغنيمة تقدر ب: 13464 ريال بوجو¹.

¹ - التميمي عبد الجليل، مغامرة الحماية التونسية على وهران، المجلة التاريخية المغربية، العدد 05، تونس، 1976، ص. 12-19.

-المحاضرة الرابعة عشر:

الموقف المغربي من الاحتلال الفرنسي للجزائر.

1- العلاقات الجزائرية المغربية قبيل الاحتلال الفرنسي للجزائر.

حاولت الدولة العثمانية بسط نفوذها على جميع دول المغرب الإسلامي، بعدما سيطرت على كل من الجزائر وتونس عملت على بسط نفوذها بالمغرب، منتهزة الخلافات بين أفراد الأسرة السعدية وخطر الهجمات البرتغالية المتكررة على السواحل المغربية¹.

استدعى الحكام السعديين العثمانيين للقضاء على مراكز الاحتلال الأجنبي الأوروبي المغرب الأقصى، ولكن بعد التوسع السعدي على مدينة تلمسان والسيطرة عليها بقيادة محمد الشيخ السعدي في سنة 1550م، كما ان العثمانيون انتهزوا الفرصة في مساعدة أبو حسون الوطاسي لاستعادة ملكه من الملوك السعديين، ولكن لم يدم ذلك طويلا بعد خلع السلطان الوطاسي وطرده العثمانيين واغتيال محمد الشيخ وهذا ما جعل ابنه يضطر لمهادنة الأوروبيين².

استغلت السلطة المغربية انتفاضة سكان تلمسان ضد نظام الحكم العثماني في الجزائر، سنة 1805م والثورة ضد باي وهران، فشاركت عدة قبائل مغربية بإيعاز من السلطة المغربية للتوغل بالغرب الجزائري، لذا انتهجت السلطة العثمانية خلال هذه المرحلة سياسة التفاوض والمساومة مع السلطات المغربية³.

تحسنت العلاقات الجزائرية المغربية سنة 1815م بفضل المساعدات التي قدمها المولى سليمان للداي عمر باشا لتجديد الجيش وتغيير البحرية، كما قامت السلطة العثمانية بالجزائر بتقديم مساعدات للمغرب في حربها ضد النمسا⁴.

¹ - شوقي عطا الله الجمل، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا - تونس- الجزائر- المغرب)، المكتبة الانجلومصرية، القاهرة، 1977، ص101.

² - عبد الفتاح مقاد الغنيمي، موسوعة المغرب العربي، ج5-6، مج03، مكتبة مديولي، القاهرة، 1994، ص229-300.

³ - أبو العباس احمد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى الدولة العلوية، ج.3، تحقيق جعفر الناصري، محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1956، ص140.

⁴ - احمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 121.

تزامنت فترة حكم الداوي حسين مع فترة السلطان المغربي مولاي إسماعيل (1792-1822م) والتي عرفت علاقات سلمية، ففي سنة 1820م دعم السلطان المغربي القوات البحرية العثمانية بالجزائر ، بينما قام الداوي حسين بإرسال قوات لإعادة الأمن بفاس بسبب الاضطرابات التي شهدتها المنطقة ، كما ساعد حاكم وجدة للعودة الى منصبه بعد فراره الى تلمسان بسبب الفوضى واختلال الأمن بالمدينة¹.

كانت العلاقات السياسية بين السلطة العثمانية في الجزائر والسلطات المغربية قبل فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر مضطربة، بينما اقيمت تلك العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية قائمة بين الطرفين²، لم تكن العلاقات الجزائرية المغربية خلال فترة الحكم العثماني جيدة، وإنما علاقات ارتبطت بصداقة المغرب مع فرنسا والتي أقرتها الاتفاقية المبرمة بين الطرفين في 18 ماي 1767م وهي اتفاقية سلام وتعاون بين المغرب وفرنسا³، يلزم الطرفان الحياد في حالة إعلان كلا منهما الحرب ضد الدولة العثمانية، وهذا ما جعل المولى عبد الرحمن بن هشام، يدشن هذه العلاقات على أساس تلك الاتفاقية خلال سنة 1823م مع فرنسا⁴.

قررت فرنسا معرفة الموقف المغربي من الاحتلال الفرنسي للجزائر ، فبعثت قنصلها دولابون (De lapone) المقيم بالمغرب الذي اتصل بدوره بالمولى عبد الرحمن يطلب منه المساندة ومساعدة الاسطول الفرنسي في حملته على الجزائر، فوافق المولى عبد الرحمن مقابل دفع الرسوم الجمركية هذا من جهة⁵، ومن جهة أخرى قامت السلطات المغربية بإرسال مجموعة من الجواسيس الى الجزائر في شكل رجال زوايا من الطريقتين الشاذلية والطبية، زود هؤلاء الرجال السلطات الفرنسية بمعلومات واخبار افادتهم في الحملة حيث كانت لهم اتصالات مع البعثات الدبلوماسية بالمغرب⁶.

¹ - فتيحة صحراوي، الجزائر في عهد الداوي حسين (1830-1818م)، مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر، 2011، ص99.
² - فارس العيد، طبيعة العلاقات الجزائرية مع المغرب الأقصى وتونس (1830-1847م)، مجلة عصور الجديدة، العدد 19-20، جامعة وهران، 2015، ص15.

³ - H. Garrot, Op.cit, p.1023.

⁴ - عبد الهادي التازي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم، مج9، الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية، 1988، ص. 101.

⁵ - فتيحة صحراوي، المرجع السابق، ص 149-150.

⁶ - جلول المكي، مسألة الحدود بين الجزائر والمغرب (631-1263هـ-1234-1847 م)، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، اشراف مولاي بلحميسي، جامعة الجزائر، 1994، ص 127.

لقد علمت السلطة المغربية بسقوط مدينة الجزائر تحت حكم الاحتلال الفرنسي في 13 جويلية 1830م عن طريق مراسلها بجبل طارق القنصل ابن عليل الذي أرسل إلى محمد اشعاع عاهل مدينة تيطوان يخبره ما يحدث بالجزائر، والذي بدوره أرسل تقريرا مفصلا للسلطان المغربي حول الوضع في الجزائر وأحداث الاحتلال الفرنسي للجزائر¹، بالرغم من المراسلات التي كانت تدور بين المولى عبد الرحمن وعاهل مدينة تيطوان حول ما يحدث في الجزائر، إلا أن الموقف المغربي من الاحتلال الفرنسي للجزائر بقي غامضا ومحايدا.

2- الموقف المغربي من الاحتلال الفرنسي للجزائر:

أ- التواجد المغربي الأول في الجزائر.

بعد الفوضى التي عرفتها البلاد الجزائرية من جراء الاحتلال الفرنسي لمدينة الجزائر قام سكان مدينة تلمسان بإرسال وفد إلى السلطان المغربي في شهر أوت 1830م لطلب المساندة والدعم ضد قوات الاحتلال الفرنسي لكن السلطان عبد الرحمن رفض ذلك²، وتم تشكيل وفد آخر شهر سبتمبر لطلب مساندة السلطان المغربي³.

فوافق على تعيين مولاي علي رفقة إدريس الجراري مع فرقة عسكرية مغربية لتوطيد الحكم المغربي بالمنطقة الغربية للجزائر ولما وصلت قوات الجيش المغربي بالمنطقة في 7 نوفمبر 1830م⁴.

لم تعمل على مواجهة قوات الاحتلال الفرنسي وتنظيم البلاد وإنما سعت لجباية الضرائب، فبدأ التخوف الفرنسي من التوسع المغربي بالمنطقة فأرسل الضابط اوفري "Auvray" لتهديد السلطات المغربية وتم جلاء القوات المغربية من المنطقة في 8 مارس 1831م⁵.

ب- التواجد المغربي الثاني في الجزائر.

¹ عبد الهادي التازي، المرجع السابق، ص. 09.
² أبو العباس احمد الناصري، المدر السابق، ص. 26.
³ A. Cour, L'occupation Marocaine de Tlemcen Septembre 1830 -Janvier 1836, Revue Africaine,t. 52,1908, p. 34.
⁴ A. Cour, L'occupation Marocaine de Tlemcen Septembre 1830 -Janvier 1836, loc.cit., p. 34.
⁵ M. Emrit, L'Algérie à l'époque d'Abd elkader, éd. Larousse, Paris, 1951., p. 15-16.

وقد بعث السلطان المغربي قوات مغربية في 3 أوت 1831م بقيادة محمد بلحمري تعمل على سياسة التوسع وجباية الضرائب بالقوة،¹ على القبائل الجزائرية بمنطقة الغرب الجزائري ووصلت هذه القوات حتى منطقة مليانة والمدية، ونظرا للتوسع المغربي تخوفت السلطات الفرنسية على مصالحها التوسعية بالجزائر وتحت التهديد الفرنسي بقصف مدينة طنجة،² تم جلاء القوات المغربية من المنطقة في 22 مارس 1832م.

لم تعمل كل من قوات الجيش العثماني والمغربي والفرقة التونسية عن الدفاع على الأراضي الجزائرية وحتى قوات الباي أحمد بقيت متحصنة بمدينة قسنطينة تنتظر القوات الفرنسية، ومع عدم نجاح المقاومة الشعبية بمنطقة الوسط الجزائري، لم يبق للشعب الجزائري إلا مبدأ الاعتماد على النفس وحمل راية الجهاد ضد قوات الاحتلال الفرنسي وأخطاره التوسعية،³ والعمل على إفشال الادعاء الفرنسي القائل بأحقية فرنسا بالأرض الجزائرية بعد توقيع معاهدة الاستسلام من طرف ممثل الدولة العثمانية مع قائد الحملة الفرنسية في 5 جويلية 1830م .

¹ A. Cour, L'occupation Marocaine de Tlemcen Septembre 1830 -Janvier 1836, loc.cit., p. 35.

² Ch.-A. Julien, Histoire de l'Algérie contemporaine conquête et colonisation (1827-1871), op.cit., p. 71.

³ ساحلي محمد الشريف، الأمير عبد القادر أباظيل فرنسية وحقائق جزائرية، تر حبيب شنيني، دار القصة للنشر الجزائر، 2003، ص. 136-139.

المحاضرة الخامسة عشر:

موقف طرابلس الغرب من الاحتلال الفرنسي للجزائر.

1- موقف طرابلس الغرب من الاحتلال الفرنسي للجزائر.

3- العلاقات الجزائرية مع طرابلس الغرب قبيل الاحتلال الفرنسي :

امتازت العلاقات الجزائرية مع طرابلس الغرب في عهد الأسرة القرامنلية بالتعاون وخاصة في المجال التجاري في البحر الأبيض المتوسط إلى جانب التنافس الاقتصادي، وفي عهد يوسف القرامنلي كانت الجزائر كوسيط بين طرابلس الغرب وأمريكا في اتفاقية 04 نوفمبر 1796م، هذه الوساطة عملت على تحسين العلاقات وتوطيدها بين داي الجزائر ويوسف باشا¹.

امتد حكم الأسرة القرامنلية بين سنتي 1711 - 1835م بعد أن تمكن أحمد القرامنلي الذي كان أحد قادة الجند من الوصول إلى السلطة، وفرض إرادته على الباب العالي بتعيينه والياً على طرابلس الغرب، ولم يعد للدولة العثمانية سوى السيطرة الاسمية، فقد شهدت الدولة العثمانية نهاية القرن التاسع عشر حالة الضعف والتدهور، فقد عمل يوسف باشا (1796 - 1832م) أول حكمه على استتباب الأمن والنظام في طرابلس الغرب، فأصدر مجموعة من القوانين

¹ - خالد يوسف وليد، حكم الاسرة القرامنلية في ولاية طرابلس الغرب 1711-1835م، مجلة جامعة تكريت للعلوم الانسانية، العدد 06، العراق، 2012، ص59.

الصارمة، كما اهتم بالأسطول وتقويته وتحصين طرابلس الغرب كثرت حروبه وهذا ما جعل الدول الأوروبية تفكر في القضاء على خطر البحرية في ولاية طرابلس الغرب¹.

كما شهدت تلك الفترة زيادة الصراع والتنافس بين الدول الأوروبية من أجل اقتسام ممتلكات الدولة العثمانية، فقد تراجعت موارد الدولة العثمانية بالبحر الأبيض المتوسط وخاصة عندما اصدر مؤتمر فيينا قرار بالقضاء على خطر البحرية في البحر الأبيض المتوسط، وكان لاحتلال فرنسا للجزائر عام 1830م بمثابة ضربة قاضية للبحرية في ولاية طرابلس الغرب في البحر المتوسط بوجه خاص²، إذ أدى هذا الاحتلال إلى منافسة فرنسا للتجارة الأفريقية بعد تسللها إلى داخل القارة، فضلا عن هذا الاحتلال كانت هناك حروب كثيرة حدثت مع الأساطيل الأوروبية، ونمو خطر محمد علي باشا الذي كان وراء الأسباب التي دعت الدولة العثمانية إلى إعادة سيطرتها على طرابلس الغرب³.

- موقف طرابلس الغرب من الاحتلال الفرنسي للجزائر.

لم تقدم السلطة في طرابلس الغرب أي تسهيلات لفرنسا لاحتلال الجزائر، حيث بعدما أحس يوسف القرماني⁴ بخطورة الوضع حول التحالف المصري الفرنسي ضد الجزائر بعث برسالة إلى حسين داي في 07 ماي 1830م⁵، مصرحا فيها: "وعلى ما قيل أن الحامل لوالي مصر على ذلك أن عدو الله الفرنسييس أغراه على أخذ الوجاقات وسهل له الطرق والمسالك وتحملوا له بان يكونوا عوناه على تميم الغرض الذي طلب ويستقبل بالملك ويصير سلطان برا.... بعدما

¹ - رود لفوميكاكي، طرابلس الغرب تحت حكم الاسرة القرمانلية، تعريب طه فوزي، دار الفرجاني، طرابلس، د.ت، ص 131.

² - اتوري روسي، ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911، ترجمة خليفة محمد التليسي، الدار العربية للكتاب، الإسكندرية، 1991، ص 411.

³ - ناصر الدين سعيدوني، ورفات جزائرية دراسات وابحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، المرجع السابق، ص 138-142.

⁴ - يوسف القرماني: اعلى يوسف الولاية بواسطة فرمان من اسطنبول من سنة 1795-1832م يعتبر من أحسن أمراء الأسرة القرمانلية، عرف بصرامته، ينظر: إسماعيل احمد ياغي، المرجع السابق، ص 149.

⁵ - مسعودي أحمد، المرجع السابق، ص 169.

التزموا بأن يمدوه بجميع ما يحتاجه من آلة حرب والعساكر ويوجه معهم ابنه إبراهيم باشا
ليمكنوه من ولاية الجزائر ...¹

واعتذر يوسف القرملي على عدم مقدرته على ارسال المساعدات وذلك لنقص الإمكانيات
المادية والبشرية، وعبر عن اسفه بعد سقوط مدينة الجزائر.²

وعلى اثر هذه الرسالة التحذيرية الموجهة من حاكم طرابلس يوسف القرملي إلى الداوي
حسين من الحملة الفرنسية بسبب معاداته لفرنسا وتأييده المعنوي للجزائر، فلما أحست فرنسا
بذلك التعاطف بين حاكم طرابلس وداوي الجزائر عملت على ارغام حاكم طرابلس بالشروط
الفرنسية التي فرضت عليه من طرف الأميرال دريزنل "Derusanel" بعدم تأييد الجزائر،³
في 09 اوت 1830م وامام تلك التهديدات الفرنسية وقع يوسف القرملي اتفاقية مع فرنسا في
11 اوت 1830م بعدم مساعدة الجزائر والاعتذار لفرنسا،⁴ وتلتزم نيابة طرابلس الغرب بعدم
تطوير قوتها البحرية⁵، فلم تقدم حكومة طرابلس الغرب أي مساندة أو مساعدات للمقاومة
الجزائرية ضد قوات الاحتلال الفرنسي خوفا على مصالحها، وعدم إدراك البعد الحضاري
والتفاوت التجهيزي بين العالمين جعل الحكام العرب لا يكثرثون لمثل هذا التوسع الأوروبي
على حساب الدول العربية والإسلامية.

لقد ابدى باشا طرابلس تأييد معنوي للداوي حسين من خلال رسالة بعث ها يقول فيها: اما فيما
يتعلق بنا لسنا أقوياء بما فيه الكفاية لنرسل لكم نجدات اننا نستطيع مساعدتكم الا بصلوات طيبة
نوجهها نحن ورعيانا لله في المساجد.⁶

حاولت السلطات الاستعمارية الفرنسية من خلال تهديدها لطرابلس الغرب وتوقيعها لتلك
الاتفاقية من أجل شل الحركة لبحرية كقوة مجاورة للجزائر تكون كعصر فعال ومؤيد لها.

¹ ناصر الدين سعيدوني، ثلاث وثائق تتعلق بأوضاع الجزائر قبل الاحتلال، مجلة التاريخ، العدد 7، الجزائر، 1979، ص. 65.

² رود لفوميكاكي، المرجع السابق، ص 221-222.

³ ناصر الدين سعيدوني، ثلاث وثائق تتعلق بأوضاع الجزائر قبل الاحتلال، المرجع السابق، ص. 59.

⁴ ارزقي شويتام، المرجع السابق، ص163.

⁵ محمد زروال، المرجع السابق، ص93-94.

⁶ Ch.-A. Julien ,Histoire de l'Algérie contemporaine conquête et colonisation (1827-1871),op.cit.,p. 59.

-المحاضرة السادسة عشر:

الموقف المصري من الاحتلال الفرنسي للجزائر.

-1- الموقف المصري:

1-1- العلاقات الجزائرية مع مصر قبيل فترة الاحتلال الفرنسي:

تعتبر نتائج الحرب اليونانية مع الدولة العثمانية وتدخل مصر في إخمادها، أكسبتها مركزا دوليا وخاصة بعد تدخل الدول الأوروبية لوقف إطلاق النار وحل المشكلة اليونانية مع السلطان العثماني، بعد مفاوضة محمد علي باشا،¹ دون وساطة السلطان العثماني، وبدأت مصر تعقد الاتفاقات مع الدول الأوروبية في عهد محمد علي مستقلة عن الباب العالي وخاصة خلال سنتي 1829م- 1830 م، تحولت سياسة مصر الخارجية وعلاقتها بفرنسا وبريطانيا، فقد حاولت فرنسا استغلال محمد علي لتحقيق أهدافها ببلاد المغرب العربي بينما كانت إنجلترا تدفع بمحمد علي لاحتلال بلاد الشام وتحقيق أطماعها ببلاد المشرق العربي.

في سنة 1829م اتفقت بريطانيا مع محمد علي على أنها تقف موقف الحياد في حالة إعلان حرب ضد السلطان العثماني في بلاد الشام، وكانت أهداف إنجلترا استغلال طموح محمد علي للاستقلال عن الدولة العثمانية وبذلك تستطيع إنجلترا تحقيق سياستها الاستعمارية الاستراتيجية التي تسعى لتحقيقها²، وهي توسيع مستعمراتها ما وراء البحار، وخاصة في القارة الإفريقية، مع خوف كل من فرنسا وبريطانيا تحول اليونان بعد استقلالها إلى حليف مع روسيا والتي كانت تدعي بأنها حامية المذهب الأرثوذكسي القائم في اليونان³.

كانت مساعي إنجلترا وفرنسا متضاربة اتجاه تأييد محمد علي لكلا من مشاريعهما التوسعية، فإنجلترا كانت تخاف على تطلعاتها ببلاد الشام والخليج العربي في ظل تراجع القوة

¹ محمد علي باشا : 1769- 1849 والي مصر مؤسس النهضة المصرية الحديثة ، ساعد السلطان محمود الثاني في حربه على اليونان، ثم نشب بينهما خلاف فاستولى محمد علي على سوريا واستطاع من هزيمة العثمانيين في 24 جوان 1839م ، ينظر: منير البعلبكي، معجم اعلام المورد ، موسوعة تراجم لأشهر الاعلام العرب والاجانب القدامى والمحدثين، دار العلم للملايين ، بيروت، 1992، ص 420.

² جورج داون، مشروع حملة محمد علي على الجزائر 1829- 1830 وثائق وزارة الخارجية الفرنسية، ترجمة عثمان مصطفى عثمان، مراجعة عبد الرؤوف احمد عمرو، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2010، ص.12- 15.

³ جورج داون، المصدر السابق، ص.12- 15.

العثمانية والتخوف من التوغل الروسي على حساب أراضيها، بينما فرنسا كانت تعمل على تشجيع محمد علي للتوسع على حساب بلاد المغرب العربي،¹ وخاصة الجزائر بعد طول فترة الحصار الفرنسي على الشواطئ الجزائرية منذ سنة 1827م، لذا عملت فرنسا من اتخاذ محمد علي كستار على توسعها ببلاد المغرب العربي تونس طرابلس الغرب والجزائر وتعود أطماعها لعدة سنوات².

فقد كانت فرنسا تخشى من اتهام الدول الأوروبية إياها بخرق معاهدة فيينا 1815م، وإدراك الشعب الفرنسي فقدان فرنسا لمكانتها الدولية بعد حروب نابليون وعودة الملكية، كما هدفت فرنسا أن يكون هناك توازن دولي في البحر الأبيض المتوسط، وخاصة مع تعاضم قوة بريطانيا وتحكمها في مضيق جبل طارق، كما كانت فرنسا تعلم بأهداف إنجلترا في احتلال محمد علي لبلاد الشام، كما كانت تدرك إنجلترا أهمية بلاد الشام بالنسبة لفرنسا بحكم تزعمها للكنيسة الكاثوليكية، وعملت فرنسا على كسب تأييد أوروبي ادعت من خلالها أن حملتها تهدف للقضاء على القرصنة للبحر الأبيض المتوسط.

1-2- الموقف المصري من الاحتلال الفرنسي للجزائر:

بعد إنهاء القنصل الفرنسي السيد دروفتي مهمته بمصر بعد قضاء خمسة وعشرين سنة،³ عرض على الوزير بولينياك مشروع للقضاء على الجزائر والداي حسين وهو إشراك محمد علي⁴، للقضاء على كل من طرابلس الغرب وتونس والجزائر بخلع حكامها وضمهم إلى مصر والذي لم يكن خاضعا خلال هذه الفترة للدولة العثمانية، وافق محمد علي على هذا المشروع باستخدام الجيش المصري الذي له خبرة بالمجال العسكري في توغله بالصحراء⁵،

¹ - عمار هلال، أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة 1830-1962، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص.42.

² - جورج داون، المصدر السابق، ص. 15.

³ - جورج داون، المصدر السابق، ص. 15-16.

⁴ - عمار هلال، المرجع السابق، ص. 41-43.

⁵ - جورج داون، المصدر السابق، ص. 15-16.

وقد أعرب محمد علي للقنصل الفرنسي الجديد بمصر السيد ميمو Memo عن مدى استعدادة لإنجاح هذا المشروع¹.

فقام القنصل باستئناف المفاوضات للبحث عن الشروط المتفق عليها لتنفيذ المشروع وتم إرسال الجنرال جيليمينو Guilleminot والقائد هوارد Heward لأنه كان يتقن اللغة التركية "العثمانية" لمساعدة القنصل في عملية المفاوضات وقبل محمد علي بان يقوم بالحملة بمفرده سواء من ناحية الجيش البري أو الجيش البحري دون إشراك الجيش الفرنسي وعرضت فرنسا أن تقرضه عشرة ملايين فرنك فرنسي لتسيير الحملة، وقد سبق وان عرض القنصل دروفتي على محمد علي أن تساعد فرنسا بأربع بوارج بحرية فرنسية أثناء حملته، هنا ظهر الخلاف بين محمد علي والحكومة الفرنسية إذ لا تقبل فرنسا تسليم بوارج أسطولها إلى محمد علي واعتبارها اهانة لشرف فرنسا وخوفا من اعتراض انجلترا التي لا يمكنها أن ترى أسطولا ينافس أسطولها في البحر الأبيض المتوسط².

اشترط محمد علي مشاركة البوارج الفرنسية الأسطول المصري حتى يظهر بقوة أمام الولايات الثلاث التي تستسلم لمحمد علي بعدما ترى مدى قوة الأسطول البحري انتهت المفاوضات الفرنسية المصرية بعدم قبول محمد علي لاقتراحات فرنسا.

ومن المشاريع الفرنسية الهامة لاحتلال الجزائر، مشروع استعمال "محمد علي" حاكم مصر، لاحتلال الجزائر لصالح فرنسا، ففي 1826م رفع القنصل الفرنسي في مصر دروفتي "Drovetti" إلى حكومته تقريرا مفاده أنه بإمكان فرنسا استخدام محمد علي والي مصر لاحتلال الجزائر بدلا عنها، وما على فرنسا إلا أن تتحمل المصاريف المالية للحملة، وتقدم لها الدعم السياسي، وكان هدف "دروفتي" من ذلك هو إبعاد أنظار محمد علي عن سوريا وتوجيهها نحو المغرب العربي، بسبب المشاكل التي كان يسببها للسياسة الاستعمارية الفرنسية في المشرق العربي³.

1- أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص180.

2- جورج داون، المصدر السابق، ص15-16.

3- عبد الله شريط - محمد المليي، المرجع السابق، ص. 159.

وقد استطاع هذا الأخير أن يقنع محمد علي بعد أن شرح له الفوائد الكثيرة من وراء احتلاله للجزائر، لكن الحكومة الفرنسية رفضت اقتراحه، خوفا من المستقبل، غير أن رئيس الوزراء "بولينياك" وافق على المشروع، وقد فاوض "محمد علي" بواسطة قنصله في مصر. جاء تقرير الباشا محمد علي حاكم مصر وجه من طرف الجنرال دي ليفرون "Delivron" إلى السيد دي بولينياك "Prince de Polignac" بتاريخ 1 فيفري 1830م جاء فيه " حول الحملة على الجزائر فإنني أتقدم إليكم ببعض الملاحظات المهمة المتمثلة في الاستعانة بفرقة عسكرية مصرية لتسهيل عملية الاحتلال إن الوساطة المصرية ضرورية ولا بد منها"¹

اقترح محمد علي وعرض على الحكومة الفرنسية مساعدتها لاحتلال الجزائر وفق البرنامج الآتي يقوم إبراهيم باشا مع الجيوش النظامية غزو البلاد برا يساعده في عملياته الحربية الأسطول الحربي من جهة البحر وتتكفل الحكومة الفرنسية بقرض الباشا محمد علي مدة عشر سنوات وأشترط القنصل الفرنسي المقيم بالإسكندرية مشاركة الأسطول الفرنسي إلى جانب الأسطول المصري، قبل الباشا بهذا الشرط ولكن على أن تكون هذه السفن الحربية بقيادة المصريين، لكن الحكومة الفرنسية رفضت هذا الشرط وانقطعت المباحثات الفرنسية المصرية، ولقد كان طموح محمد علي توسعي على حساب الأراضي العربية الإسلامية لتولي الخلافة الإسلامية، ولم يكن هناك أي تجاوب للحكام العرب لمساندة المقاومة الجزائرية وهذا يرجع لنقص وعيهم وعدم إدراكهم للتفاوت الحضاري وما وصلت إليه أوروبا من تطور وحدثات².

وبالرغم ما قام به بوليناك مع "محمد علي" إلا أن مشروعه فشل، لعدة أسباب منها تدخل الدول الأوروبية وعدم مساندتهم لمحمد علي بصفته غير أوروبي، فقد هددته إنجلترا بتتحيته من الحكم وتدمير أسطوله البحري بمجرد مغادرته ميناء الإسكندرية إذا تدخل ونفذ خطة فرنسا³.

¹ - بوضرساية بوعزة، موقف حاكم مصر محمد علي باشا من الاحتلال الفرنسي للجزائر من خلال إحدى التقارير السرية الفرنسية، مجلة الذاكرة، العدد 3، جانفي 1995، ص. 186 - 187.

² - أحمد توفيق المدني، من الوثائق العثمانية عن التاريخ الجزائري محمد علي باشا ومساعدته مع فرنسا لاحتلال الجزائر ومهمة طاهر باشا، مجلة التاريخ، العدد 12، الجزائر، 1982، ص. 15.

³ - عبد الله شريط - محمد الميللي، المرجع السابق، ص 159.

المحاضرة السابعة عشر:

الموقف العثماني من الاحتلال الفرنسي للجزائر.

1-العلاقات العثمانية الجزائرية قبل الاحتلال:

كانت علاقة الجزائر مع الدولة العثمانية علاقة تحالف باعتبار الجزائر جزء من الخلافة العثمانية واية تابعة للباب العالي وأقاليمها في إطار الخلافة العثمانية باسم الدين الإسلامي¹، فقد اتخذت السلطات الفرنسية في إطار العلاقات التي كانت تربط الجزائر بالدولة العثمانية في عملية إعلان حصارها على السواحل الجزائرية من المعاهدة المبرمة بين فرنسا والدولة العثمانية في 30 ماي 1740م ذريعة لإعلان الحرب في البند 11 من المعاهدة في ظل الامتيازات الفرنسية بالأقاليم التابعة للدولة العثمانية، فقامت بتقديم مذكرة لإسطنبول شهر أوت 1827م من طرف سفير فرنسا بإسطنبول الكونت غوليمينيو² Guileminot تنص على تدخل الدولة العثمانية لتأديب الداوي³، واطارها بالحصار البحري الفرنسي لمدينة الجزائر متخذة من البند 11 من المعاهدة المبرمة بين الدولة العثمانية وفرنسا في 30 ماي 1740م ذريعة لإعلان الحرب.

¹ - محمد الهادي الحسني، المرجع السابق، ص57.

² - غولمينيو: 1774-1840 : متطوع ومساعد في معسكر مورو أصبح سنة 1798 جنرالاً وبارون الإمبراطورية عين كمفوض من قبل الملك لتثبيت الحدود الشرقية، ارسل كسفير الى القسطنطينية وبقي في منصبه الى غاية 1831م. ينظر: B.D'Haussey , Mémoires du baron D'Haussez, Calmann Lévy Frères, Paris, T 2, 1896, P 134.

³ - محمد زروال، المرجع السابق، ص 151.

رفضت الدولة العثمانية ذلك الاقتراح ولكن انشغالها بحروبها في جزيرة مورا، أدى بالدولة العثمانية للاكتفاء بعقد اجتماع ضم كل من الصدر الأعظم ووزير الحرب، بعدم التدخل في الخلاف الناشب بين فرنسا والجزائر وتم الاتفاق على ما يلي:

1- إعداد صيغة الجواب الذي سيعطى للسفير الفرنسي في حال أرسل مترجمه مرة ثانية.

2- تكليف وزير البحرية عزت باشا بكتابة رسائل إلى خليل أفندي للتحقق من المسألة¹.

وجه الداوي حسين رسالة إلى الصدر الأعظم بإسطنبول، حول الوضع المتأزم في الجزائر وطبيعة النزاع الجزائري الفرنسي، إلا أن الخلافة العثمانية تركت الوضع الجزائري في خلاف مع فرنسا²، نتيجة انشغال الدولة العثمانية بمشاكلها الداخلية والخارجية ومن أهم هذه الانشغالات:

1- حروب محمد علي وتهديد مصالحها بمنطقة الشام والأناضول³.

2- فقدان الدولة العثمانية جيوشها في إطار تطور الجيوش وخاصة في الصناعة الحربية.

3- تدهور الأسطول البحري العثماني، وتوالي الهزائم العثمانية في حروبها مع الدول الأوروبية وخاصة النمسا وروسيا.

4- بحث الدول الأوروبية على امتيازاتها الاقتصادية والسياسية بالبلاد الإسلامية⁴.

1-2- مساعي خليل أفندي لحل النزاع الجزائري الفرنسي:

سعى خليل أفندي وأصر على إرسال كل من الداوي حسين مبعوثا إلى فرنسا، يطلب منه الاعتذار حول حادثة المروحة وحادثة لابروفانس، ولكن الداوي رفض هذا الاقتراح في 29

¹ - ارجمند كوران، السياسة العثمانية اتجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر 1827-1830، ترجمة عبد الجليل التميمي، منشورات الجامعة التونسية، تونس، 1970، ص 39-40.

² - نفسه، ص 43.

³ - علي المحجوبي، العالم العربي الحديث المعاصر، تخلف فاستعمار فمقاومة، دار محمد علي للنشر، تونس، 2009 م، ص 37.

⁴ - عبد الرحمن الجليلي، المرجع السابق ج 4، ص 22.

نوفمبر 1829م، وغادر خليل أفندي إلى تونس وفي تواجده بالأراضي التونسية، كان له لقاء مع القنصل الفرنسي بتونس أخبره أن النزاع الجزائري الفرنسي لن يكون سلمياً¹.

أ- إيفاء الطاهر باشا إلى الجزائر:

اقترحت السلطة العثمانية اختيار مبعوثين أحدهما عثماني والأخر فرنسي، وإرسالهما للجزائر لإيجاد حل للزمة الجزائرية الفرنسية،² ولكن فرنسا رفضت على لسان سفيرها واعتبرت ذلك يتعارض مع كرامة فرنسا³.

بالرغم من أن مترجم السفارة الفرنسية بإسطنبول اعلم الباب العالي في 16 مارس 1830م، أن فرنسا قررت إرسال جيش للجزائر، ولكنها أعربت عن أملها أن يحل طاهر باشا الخلاف بين الداوي حسين وفرنسا، ولكن فشل الطاهر باشا للدخول إلى الجزائر بعد مكوثه عدة أيام في تونس ثم توجه بعدها نحو فرنسا بطولون، ووجه عدة رسائل إلى رئيس الوزراء الفرنسي بولينياك الذي استدرجه في مجموعة من الرسائل،⁴ وقد رفضت في الأخير السلطات العثمانية الطاهر باشا كمبعوث من طرف الباب العالي⁵.

لم تكن للموقف العثماني ردة فعل حقيقية حول القضية الجزائرية في ظل الظروف الداخلية والخارجية، التي كانت تعيشها الدولة العثمانية، إلى جانب امتثالها للأمر الواقع، في ظل الضعف الذي كانت تعيشه هذه الدولة وسلطة القرار لم تصبح بسلطتها، وإنما فرضت الظروف والواقع ذلك الموقف السلبي من طرف الدولة العثمانية سواء على المستوى العسكري أو السياسي الدبلوماسي، لأن الدولة العثمانية فقدت تلك القوة التي كانت تفرضها على هذه الدول الغربية، لذا ظهر موقفها بهذا الشكل الذي لم يخدم القضية الجزائرية وحتى بقايا السلطة العثمانية، لم تكن لهم تلك القوة التي عهدوها، لمواجهة قوات الاحتلال الفرنسي لذا تمثل نفس الموقف في مواجهة الاحتلال الفرنسي بالرضوخ لمطالبه والقبول بالأمر الواقع كحتمية.

¹ J.Serres : La politique Turque en Afrique du nord sous la monarchie de juillet, librairie orientaliste Paul Geuthner, Paris,1925,P.24-25.

² - ارزقي شويتام ، المرجع السابق، ص116-117.

³ - J.Serres ,op.cit.p.25.

⁴ - ارجمند كوران، المصدر السابق، ص 56-59.

⁵ - ارزقي شويتام ، المرجع السابق، ص120-121.

تابعت الدولة العثمانية النزاع الفرنسي الجزائري وتطوراته خلال القرن 19م غير ان انشغالها بثوة اليونان والحرب الروسية لم يسمح لها بالتدخل العسكري لحماية الجزائر لذا سعت لحل النزاع بالطرق الدبلوماسية السلمية، ففي اوائل شهر اوت 1827 قدم السفير الفرنسي الكونت جيومينو للباب العالي مذكرة مفادها تدخل الحكومة العثمانية لتأديب داي الجزائر قائلاً فيها: وحيث ان الداى قد زاد من تعدياته السابقة بتحقيقه قنصل فرنسا في الجزائر، فان جناب امبراطور فرنسا اضطر لطلب ترضية علنية مهددا بإعلان الحرب في حالة رفض طلبه ، الا ان طلبه قد رفض و عليه فالحرب محققة¹.

بعد توقيع الدولة العثمانية معاهدة ادرنة مع روسيا في سبتمبر 1829م زاد اهتمامها بالقضية الجزائرية فأوفدت خليل افندي مكلفة اياه تنبيه الباشا حسين بان يظل محايداً في النزاع الناشب بين النمسا ومراكش واذنت له بالقيام بمحاولات لتأمين التفاهم بين الطرفين الفرنسي والجزائري، ولكنه فشل في مسعاه باء بالفشل².

المحاضرة الثامنة عشر:

موقف السكان من الاحتلال الفرنسي للجزائر.

عرف بايلك الغرب الجزائري قبيل الاحتلال الفرنسي لمدينة وهران اوضاع متميزة، وخاصة في المجال السياسي بعد تراجع القوة العسكرية العثمانية، وهذا ما أجبر نظام الحكم العثماني التحالف مع بعض القبائل الجزائرية لتغطية ذلك الضعف السياسي والعسكري، فمن

¹ - ارجمند كوران، المصدر السابق، ص39.

² - نفسه، ص 45.

بين اهم القبائل التي تحالف معها النظام العثماني قبائل المخزن التي منحت لها امتيازات وصلاحيات واسعة، كانت على حساب تشكيلات اجتماعية أخرى كقبائل الرعية والأشراف والمرابطين وغيرهم.

فقد اهتمت السلطة العثمانية في سياستها الاقتصادية المنتهجة القائمة على جباية الضرائب دون مراعاة التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للبلاد، فكان همها التحصيل الجبائي، وفرض سيطرتها على القبائل باستعمال القوة العسكرية وهذا باستخدامها لبعض القبائل القوية على حساب القبائل الضعيفة.

وبعد سقوط مدينة الجزائر في 05 جويلية 1830م على يد قوات الاحتلال الفرنسي بقيادة الجنرال دييورمون، وتوقيع الداي حسين لمعاهدة الاستسلام انتشرت الفوضى والاضطرابات بصفة عامة، بينما عرف بايلك الغرب خلال هذه المرحلة العصبية، تفعيل سلطة القبائل المخزنية التي مارست صلاحيات واسعة على قبائل المنطقة.

وقد أدى التباين الاجتماعي من خلال بروز عدة طبقات اجتماعية مختلفة ومتميزة، إلى تشكل أزمة حقيقية تتجلى مظاهرها في مواقف السكان من الاحتلال الفرنسي وخاصة بعد احتلال مدينة وهران، مثل الكراغلة المستقرين ببعض المدن الغربية (وهران، مستغانم، معسكر، تلمسان)، وبعض الحضر الاثرياء وخاصة طبقة التجار واليهود التي كانت تهمهم مصالحهم الخاصة دون مراعاة المصلحة العامة للبلاد.

بينما أعيان المنطقة ومن بينهم الشيخ محي الدين شيخ الزاوية القادرية بمنطقة معسكر كان يترقب الأوضاع ومستجداتها وكل تداعياتها لاتخاذ الإجراءات المناسبة، والعمل على إيجاد السبل الكفيلة في تنظيم المقاومة ضد قوات الاحتلال الفرنسي.

1- موقف قبائل المخزن :

تشكلت القبائل المخزنية في بايلك الغرب الجزائري من قبائل الدواير والزمالة التي كانت تستمد مكانتها الاجتماعية من السلطة العثمانية خلال فترة البايات والتي ساهمت في تقوية نظام الحكم العثماني بالمنطقة¹، وقد استمدت هذه القبائل سلطة واسعة استخدمتها ضد القبائل

¹ - ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر : العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص98.

الضعيفة وهذا ما أكسبها عداوتها، فبسقوط السلطة العثمانية بالجزائر ستصبح القبائل المخزنية بمدينة وهران في وضعية معقدة¹.

بعد الاحتلال الفرنسي لمدينة الجزائر كانت القبائل المخزنية تتألف من قسمين:

- الزمالة بزعامة المازاري الذي انتقل مع اتباعه الى ضواحي تلمسان في شهر اوت سنة 1830م.

- الدواير بزعامة مصطفى بن إسماعيل بقي واتباعه قرب مدينة وهران وتضامن مع الباي حسن، وأعلن مسانده له في حالة مقاومته لقوات الاحتلال الفرنسي لمدينة وهران، بينما الباي حسن لم يكن له أي موقف عدائي ضد قوات الاحتلال الفرنسي الذين احتلوا المدينة في 14 اوت 1831م².

التحق مصطفى بن إسماعيل بعدها بابن أخيه المازاري بضواحي تلمسان، في حين كانت الاضطرابات تتصاعد بين كراغلة تلمسان وممثل السلطان المغربي مولاي علي بمدينة تلمسان، وحاول مصطفى بن إسماعيل مع بعض الاعيان فتح مفاوضات بين الطرفين، ولكن مولاي علي قام بسجن هؤلاء الاعيان وبعثهم كأسرى للسلطان المغربي³، والذي قام بإطلاق سراحهم بعدما اطلعوه على التجاوزات التي قام بها مولاي علي بمدينة تلمسان، واتفق مصطفى بن إسماعيل مع السلطان المغربي على مساعدة الشريف بلحمري منطقة الغرب الجزائري وتوطيد سلطته بها، وبعد عودته من المغرب جمع أتباعه وذهب بهم الى مدينة معسكر لمساعدة الريف بلحمري لتوسيع حكمه بالمنطقة⁴.

السياسة المتبعة من طرف الممثل المغربي بلحمري في المنطقة جعلت السكان ينفرون من سياسته وحتى القبائل المخزنية التي ساندته ابتعدت عنه ورجعت الى مضاربها بضواحي مدينة وهران⁵، وحاولت هذه القبائل المخزنية التقرب من ممثل الباي التونسي خير الدين، الذي تسلم مقاليد الحكم فيها من قبل قوات الاحتلال الفرنسي، ولكن الوضعية تأزمت بعد مغادرة ممثل

¹ - W .Estirasy, Notice historique sur le maghzen d'Oran, Typographie de Berrier, éd. Paris, 1849, P.32.

² - M .Lapène, op-cit, P.32.

³ - A .Cour , L'occupation Marocaine de Tlemcen (Septembre 1830 – Janvier 1836), Op.cit., P.37.

⁴ - W .Estirasy, Op.cit, P.19.

⁵ - A .Cour, Op.cit., P.33.

الباي التونسي لمدينة وهران، وهذا ما جعل أعيان قبائل المخزن يترقبون تطورات الوضع بحذر، إلى غاية دعوة الشيخ محي الدين إلى فرض الجهاد ضد قوات الاحتلال الفرنسي بوهران¹.

2- سكان تلمسان:

يتألف سكان مدينة تلمسان من قسمين:

أ- الحضر كانوا تحت قيادة بن نونة².

ب- الكراغلة بقيادة البورسالي، والذين تمركزوا في قلعة المشور³.

بعد احتلال فرنسا لمدينة الجزائر، ووصول قوات الضابط أميدي بورمون إلى وهران في أوت 1830م⁴، قام حضر مدينة تلمسان بتسيير وفد إلى سلطان المغرب عبد الرحمن، في أواخر شهر أوت 1830م طالبين منه الحماية من الخطر الفرنسي، ولما وصل هذا الوفد إلى وجدة استقبلهم عامل السلطان المغربي بها، أبي العلاء الإدريسي الجراري، الذي أحالهم إلى السلطان عبد الرحمن بفاس، حيث التقى هذا الوفد بالسلطان عبد الرحمن في أوائل سبتمبر 1830م⁵، وعرضوا عليه مطالبهم إلا أن السلطان المغربي وبعد اللقاء الذي جمعه مع علماء وفقهاء فاس، أشاروا عليه بفتوى مفادها أن تلمسان وضواحيها تقع تحت سلطة عثمانية ولا يحق له التدخل بها، فأخذ السلطان بهذه الفتوى ورد على وفد حضر تلمسان بما أشار له علماء وفقهاء فاس، فعاد هذا الوفد إلى تلمسان⁶.

¹ العربي إسماعيل، المرجع السابق، ص 36.

² بن نونة: هو من أبرز أعيان حضر مدينة تلمسان، كان صاحب تجارة مزدهرة، نظرا للعلاقات التي كانت تربطه بمدينة فاس المغربية، حيث كان يستقر بعض أفراد عائلته هناك، ونظرا لنفوذ هذا الأخير بتلمسان عين من قبل أهلها قائدا على سكان تلمسان من غير الكوروغليين، كان له ابن اسمه محمد استقر بوجدة. كما له عدة بنات تزوج بعضهن بتلمسان. وتوفي بن نونة بعد معركة إيسلي التي جرت في سنة 1843 بقليل في مدينة وجدة المغربية. ينظر:

A. Cour, Op.cit., P.33.

³ تعتبر قلعة المشوار بمثابة مدينة داخل مدينة، تشغل الجزء المرتفع من جنوب مدينة تلمسان، تحيط بها أسوار عالية، ويوجد داخل هذه القلعة مسجد وحمام وثكنة عسكرية، وعدد من مساكن الكوروغليين، كما يمر بهذه القلعة المجرى المائي الذي يومن تلمسان بالمياه، وبذلك فقد شكلت هذه القلعة حصنا منيعا للعثمانيين بها. ينظر:

Cour.A, Op.cit., P.36.

⁴ العربي إسماعيل، المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص 28.

⁵ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، المصدر السابق، ج9، ص 26.

⁶ نفسه، ص 27.

وقد تم تشكيل وفد آخر من سكان تلمسان، يضم عددا من الأعيان (الحضر ، الكراغلة ، قبائل المخزن، ومن بين أهم الشخصيات التي شاركت في هذا الوفد هي: رمضان التركي ومصطفى بن إسماعيل¹ والمازاري، وبن ددوش، وفورمالا، وكان عدد عناصر هذا الوفد حوالي مائة، كانت مهمتهم الإلحاح على السلطان المغربي للتدخل في تلمسان وإعادة تنظيم البلاد خوفا من الفوضى².

استقبل هذا الوفد في أواخر شهر سبتمبر من قبل السلطان المغربي وأوضحوا له، بأنه سلطة العثمانية بالمنطقة قد انتهت بعد سقوط حكم الداوي، نتيجة الضعف الذي كانت تعاني منه الدولة العثمانية، قد جعل من سلطتهم في المنطقة غير مؤسسة، وأمام هذا الإلحاح وافق السلطان المغربي على مطالب هذا الوفد³.

ونزولا على ذلك الطلب قام السلطان المغربي باستحداث منصب خليفة السلطان على الضواحي التلمسانية، وعين ابن أخيه مولاي علي، ووضع تحت تصرفه حوالي خمسمائة فارس، ومائة من المشاة، ومجموعة من عناصر الطبجية، كما أمر السلطان المغربي عامله على وجدة إدريس الجراري بمرافقة مولاي علي إلى تلمسان، ومساعدته في توطيد الحكم المغربي بها⁴. لقد وصلت تلك القوات إلى تلمسان في 07 نوفمبر 1830م، واستقرت بقصر الباي قارة سليمان، بعد أن رحب بهم حضر المدينة، أما الكراغلة، فأرسلوا هدية لمولاي إسماعيل عربونا لحسن نيتهم اتجاهه، إلا أنهم لم ينزلوا من قلعة المشور، وبقوا متحصنين بها، وهو ما أثار حفيظة مولاي علي، الذي بدا له أن السيطرة على تلمسان لن تكون ذا أهمية بدون قلعة المشور، فطالب الكراغلة تسليمه القلعة⁵، فأبو ذلك وأرسلوا له وفدا يفاوضه في الأمر كان من بينهم:

مصطفى بن إسماعيل، فقام مولاي علي بتكبير أفراد هذا الوفد وبعثهم إلى السلطان المغربي كأسرى، وهو ما أثار استياء سكان تلمسان من الممثل المغربي مولاي علي، الذي استولى على

1- مصطفى بن إسماعيل: ولد بالعامرية سنة 1869 وتوفي بالبيوض سنة 1843 خدم الأتراك لمدة طويلة، أصبح بعدها آغا الدواير والزمالة، تحالف مع قوت الاحتلال الفرنسي وحارب قوات المقاومة الوطنية بقيادة الأمير عبد القادر، و أصبح في سنة 1839 جنرالاً في الجيش الاستعماري الفرنسي، توفي عن عمر ناهز الثمانين، ينظر: أديب حرب، التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر الجزائري، ج1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983، ص56.

2- A. Cour, Op.cit., p.34.

3- أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، المصدر السابق، ص 28.

4- أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، المصدر السابق، ص 31.

5- A. Cour, Op.cit., P.34.

أملاك الكراغلة بمدينة تلمسان، وقام بحملة ضد قبائل المخزن، واستولى فيها على عدد كبير من المواشي التابعة لهذه القبائل، بالإضافة إلى ذلك بدأت سلطات الاحتلال الفرنسي بالجزائر، والتي كان على رأسها في هذه الفترة الجنرال كلوزال، تضغط على السلطان المغربي لسحب قواته من تلمسان، حيث قامت السلطات الاستعمارية الفرنسية في 30 نوفمبر 1830م بمراسلة قنصل فرنسا في طنجة دولا بورت "Delaport" يطلب منه إبلاغ السلطان عبد الرحمن برسالة شديدة اللهجة لسحب قواته من تلمسان، وفي 03 جانفي 1831م عاود الجنرال كلوزال تهديداته للسلطان المغربي ببعثه للضابط أوفراي Auvray شخصيا ليبلغ السلطان تهديدات بغزو أراضيها إذا لم يسحب قواته من تلمسان¹.

وأمام عدم استجابة السلطات المغربية للتهديدات الفرنسية، قام وزير الخارجية الفرنسي الكونت سبستاني "Sbastani" ببعث مذكرة باسم الحكومة الفرنسية، يطالب فيها السلطان بالانسحاب من تلمسان، وأمام هذا الضغط الفرنسي، والاضطرابات التي أحدثها مولاي علي بالمنطقة، قام السلطان بسحب تلك القوات التي بعثها إلى تلمسان في 08 مارس 1831م.

وعلى الرغم من تلك الفوضى التي أحدثها التواجد المغربي بتلمسان، بزيادة حدة التوتر بين التشكيلات الاجتماعية المكونة لمجتمع تلمسان، لم يتوان السلطان عبد الرحمن في بعث قوات جديدة إلى الغرب الجزائري، في 03 أوت 1831م، تحت قيادة محمد بلحمري الذي وصل إلى تلمسان في 16 أوت².

وبالرغم من المساندة التي أظهرتها قبائل المخزن لمحمد بلحمري، إلا أنه لم يستطع الحصول على تأييد كل قبائل الغرب الجزائري، حيث أن فشله في مواجهة قوات الاحتلال الفرنسي بوهران، ما بين 8 - 22 أكتوبر، جعله يعمل على كسب طاعة قبائل المنطقة بالقوة، كما بدأ يعمل على تنظيم جباية الضرائب، وهو ما أكسبه عداوة معظم قبائل المنطقة، التي رأت فيه باحثا عن الثروة والأموال عوضا عن مواجهة قوات الاحتلال الفرنسي بمدينة وهران، فقامت بعض القبائل بمحاصرة قوات محمد بلحمري بمعسكر، ورفضت منحه ما كان يطلبه من ضرائب³.

1 - العربي إسماعيل، المرجع السابق، ص 30.
2 - العربي إسماعيل، المرجع السابق، ص 31-32.

3. A. Cour, Op.cit., P.35.

بعدما أدركت الدور الخطير الذي تلعبه قوات السلطان المغربي بمنطقة الغرب الجزائري بدأت سلطات الاحتلال الفرنسي تمارس ضغطا على السلطان المغربي بواسطة بعثها لسفینتین حربیتین إلى ساحل مدينة طنجة المغربية، في 18 نوفمبر 1831م، ثم قام الملك الفرنسي لوي فيليب "L-Phillipe"، بإرسال الكونت شارل دومولي Charles de Mollé سفيرا فوق العادة إلى السلطات المغربية محملا بمذكرة مفادها تهديد شديد اللهجة، يطالب فيه السلطان عبد الرحمن بسحب قواته من الغرب الجزائري، وإلا فسوف تقوم السفن الفرنسية بقصف ميناء طنجة وجميع مدن الساحل المغربي¹.

أمام هذا الضغط الفرنسي وطبيعة المعاملة السيئة لمحمد بلحمري وقواته بمدينة تلمسان وضواحيها، أدى إلى سخط معظم سكان الغرب الجزائري على نظام حكمه، لذا قام السلطان المغربي بسحب قواته مجددا من تلمسان في 22 مارس 1832م².

أحدث التواجد المغربي بمنطقة الغرب الجزائري شرخ كبير بين السكان وقبائل المنطقة، من خلال تغذيته لتلك الفوارق الاجتماعية التي كان يعاني منها السكان خلال فترة الحكم العثماني وطبيعة الحكم المغربي بالمنطقة الذي كانت مهمته النهب وجمع أكبر كمية من الضرائب، فلم تقم القوات المغربية بمساعدة السكان ومواجهة الخطر الأجنبي المتمثلة في قوات الاحتلال الفرنسي، هذا ما أدى لزيادة تأزم الظروف المعيشية وحالة اللاأمن والفوضى التي شهدتها منطقة الغرب الجزائري عامة³.

3-ظروف منطقة الغرب الجزائري وبروز الشيخ محي الدين:

يعتبر الشيخ محي الدين من اعيان منطقة الغرب الجزائري، لما يحظى به من مكانة علمية وفكرية ودينية كونه شيخ زاوية يشرف على زاوية القبطنة بواد الحمام، التي تسمو بمكانة ثقافية من أشهر علمائها محمد بن الخضير المهاجي والشيخ سيدي عبد الله المشرفي

¹ Ch.-A. Julien, Histoire de l'Algérie contemporaine conquête et colonisation (1827-1871), op.cit., p. 71.

² العربي إسماعيل، المرجع السابق، ص 33.

³ أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج1، المرجع السابق، ص 169.

وعبد القادر بن محمد الهزيل وأبو رأس الناصري، فاستحق الشيخ محي الدين تلك المكانة الاجتماعية المرموقة بين سكان المنطقة لحسن طبيعة علاقاته الودية التي تربطه مع السكان¹.

ولذلك نجد أن اول اتصال ربط الباي حسن بعد سقوط مدينة الجزائر، بالشيخ محي الدين لطلب المساندة، نظرا للسلطة المعنوية التي كان يتمتع بها الشيخ بين معظم القبائل، غير أن الشيخ محي الدين لم يكن باستطاعته اتخاذ مثل هذا القرار دون استشارة علماء غريس².

قام الشيخ محي الدين بجمع علماء منطقة غريس في منطقة القيطنة وأخبرهم بأمر الباي حسن، فوافق الجميع على طلب حمايته، إلا أن ابنه عبد القادر تدخل في هذا الاجتماع وأوضح بأن حماية الباي حسن تعني السكوت عن المظالم التي قام بها ضد سكان المنطقة، وهو ما سيجعل أمر حمايته مستحيلا أمام نقمة معظم القبائل عليه، كما أن الموافقة على حمايته ستجعل مصداقية أعيان المنطقة والشيخ محي الدين بصفة خاصة تتأثر سلبا أمام الرأي العام للقبائل، ونظرا للطريقة المقنعة التي طرح بها عبد القادر بن الشيخ محي الدين رأيه، جعل الجميع يتفقون على ما ذهب إليه، وهكذا أبلغ الشيخ محي الدين الباي حسن رفض طلبه³.

أدى انهيار السلطة العثمانية بعد احتلال مدينة وهران في 14 جانفي 1831م، ورحيل الباي حسن منها، إلى مبادرة وجهاء المنطقة وعلى رأسهم الشيخ محي الدين لإيقاف الاضطراب والفوضى الحاصلة بالغرب الجزائري، وخاصة بمدينة تلمسان التي كان الصراع فيما بين الحضر والkraïgلة في تصاعد مستمر، وبعد انسحاب قوات مولاي علي من المدينة في 08 مارس 1831م، قام الشيخ محي الدين بعرض وساطة بين الطرفين لإحلال السلام بينهما، ونظرا للاحترام الذي كان يكنه الجانبان له وافقا على ذلك، فاقترح عليهما أن يبقى بن نونه كقائد للحضر ويستقر بقصر الباي قارة سليمان، بينما يبقى الكراïgلة وعلى رأسهم

¹ - بلهاشمي بن بكار، كتاب مجموع النسب والحسب والفضائل والتاريخ والأدب في أربعة كتب، مطبعة ابن خلدون، تلمسان، 1961، ص 400.

² - P. Azan, les débuts d'Abdel Kader , B.S.G.A.O.,T XI, Fouque, Oran, 1920, p.209.

³ - شارل هنري تشارشل، حياة الأمير عبد القادر، تر أبو القاسم سعد الله، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2004، ص 76.

بالبورسالي في قلعة المشور، وأن يتعهدا بعدم التعرض لبعضهما البعض، فوافق الطرفان على هذا الحل وانتهت المشكلة القائمة بين الطرفين مؤقتاً¹.

انتشرت الفوضى في الغرب الجزائري عقب التواجد المغربي والتونسي بالمنطقة، وزادت الصراعات بين مختلف التشكيلات الاجتماعية، وأصبحت أوضاع السكان الاجتماعية جد متردية جراء حالة الفوضى واللاأمن التي سادت المنطقة، وذلك بعد نهاية السلطة العثمانية باستسلام الباي حسن لقوات الاحتلال الفرنسي، وإعلان قائد مستغانم العثماني إبراهيم خضوعه لسلطة الاحتلال الفرنسي، وعدم فاعلية الحميات العثمانية الأخرى التي كانت معزولة في حصونها بتلمسان ومعسكر.

أصبحت وضعية إقليم الغرب الجزائري غير خاضعة لأي سلطة نظامية، وهو ما كان ينبئ بفوضى عارمة غير محتملة العواقب، فظهرت عمليات النهب في الأسواق، وأصبحت الطرق غير آمنة، فكانت القبائل المخزنية تبحث عن استرجاع سلطتها وامتيازاتها المفقودة، بينما القبائل الأخرى بدأت تستشعر الحرية من الضرائب التي أثقلت كاهلها لسنوات طويلة، فبدأت سلطة شيوخها عليها غير مجدية².

كانت قوات الاحتلال الفرنسي بمدينة وهران يدعمون تواجدهم بها، بتعيين الجنرال بوايي "Boyer"³ على رأسها في 19 سبتمبر 1831م، وتدعيمه بقوات جديدة، فبدأ الجنرال بوايي بالتدخل في النسيج الاجتماعي بالمنطقة وتشكيلاته المختلفة بغرض كسب حلفاء له، لتوسيع التوغل الاحتلال الفرنسي بالغرب الجزائري⁴.

4- دور الشيخ محي الدين في تنظيم المقاومة:

في ظل هذه الظروف والوضعية العامة التي كانت تسودها الفوضى بدأ أعيان القبائل يبحثون عن مخرج لتلك الازمة، فاجتمعوا في أوائل شهر أفريل سنة 1832م بمدينة معسكر،

¹ - A. Cour, Op.cit.,p 41.

² - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص168
³ - الجنرال بوايي Boyer: شارك في الحملة الفرنسية على مصر، ثم عمل تحت راية الجمهورية والإمبراطورية الفرنسية، اختياريه الجنيرال كالمان في سنة 1795 في أركان وزارة الحرب الفرنسية، كما حارب في سوريا في صفوف القوات الفرنسية تحت إمرة نابليون بونابرت، وفي سنة 1810 انضم إلى القوات الفرنسية في إسبانيا، ليعلن بعدها على رأس القوات الفرنسية بوهران في 19 سبتمبر 1831، ثم عزل من منصبه في سنة 1833، ليعود إلى فرنسا، حيث مات في 26 ديسمبر 1864 . ينظر: أديب حرب، المرجع السابق، ج1، ص32.

⁴ - I. Derrien, les français à Oran depuis 1830 jusqu'à nos jours. Première partie . J-nicot. Aix, France. 1886. p28.

واتفقوا على ضرورة توجيه أنظار سكان المنطقة نحو الخطر الحقيقي المتمثل في التوغل الاستعماري الفرنسي الذي أصبح يهدد الجميع، والعمل على إعلان الجهاد ضد قوات الاحتلال الفرنسي مع تجاوز كل الخلافات وتوحيد الأهداف، كما اتفقوا على أن يكون الشيخ محي الدين قائدا لهم لما يحظى به من احترام، ولما أبداه من حكمة في التعامل مع تلك الاضطرابات التي شهدتها المنطقة¹.

بعد الاجتماع الذي اتفق فيه أعيان المنطقة في مواجهة الاحتلال الفرنسي، شكل الشيخ محي الدين قواته المكونة من قبائل المنطقة وسار على رأسها باتجاه وهران، حيث هاجم في 17 أبريل 1832م فرقة استطلاعية لجيش الاحتلال الفرنسي، وتمكن من القضاء على معظم عناصرها، ثم انتقل إلى منطقة سيدي معروف بين مستغانم ووهران حيث أقام معسكرا لقوات المقاومة بغرض مراقبة تحركات قوات الاحتلال الفرنسي وفي يوم 03 ماي، انضمت إلى تلك القوات مجموعة أخرى من المقاتلين جاؤوا من مختلف قبائل المنطقة².

سار على رأس تلك القوات الشيخ محي الدين في نفس اليوم إلى عين الكرمة، حيث نظم قوات المقاومة التي كانت معه وهاجم في عصر ذلك اليوم قوات الاحتلال الفرنسي، التي كانت تتمركز بقرقيطا (خناق النطاح)، فتمكن المجاهدون من تشتيت صفوف تلك القوات، وواصلوا قتالهم حتى أسوار حصن سانت أندري، إلا أن التحصينات، التي أقامتها قوات الاحتلال الفرنسي حول الحصن ونيران المدفعية، جعلت المجاهدين يتراجعون، وفي صباح اليوم التالي انتقل الشيخ محي الدين مع قوات المقاومة إلى رأس العين ومنها شن هجوما على القوات الفرنسية المتحصنة بحصن سانت فيليب³.

أدى الحماس الذي أبدته قوات المقاومة الشعبية بقيادة الشيخ محي الدين في مواجهة قوات الاحتلال الفرنسي إلى جعل روح المقاومة والجهاد تنتشر في مختلف أرجاء الغرب الجزائري، فزاد عدد القبائل المساندة للمقاومة، حيث اجتمع في 06 ماي بضواحي وهران أعيان حوالي 32 قبيلة، وأعدوا العدة لمهاجمة قوات الاحتلال الفرنسي، إلا أن يوم 11 ماي

1. بن عودة المازاري، المصدر السابق، ص 95.

2. P. Azan, L'Emir Abdel-Kader, du fanatisme musulman au patriotisme chrétien (1808- 1886) librairie Hachette, Paris, 1929, P.8 .

3. محمد بن عبد القادر الجزائري، المصدر السابق، ص 147.

كان يتصادف مع حلول العيد الأضحى، فجمع الشيخ محي الدين أعيان القبائل مرة أخرى في 09 ماي، واتفق معهم على أن يقضي المجاهدين العيد الأضحى مع عائلتهم، وأوصاهم بتشديد الحصار الاقتصادي على قوات الاحتلال الفرنسي بوهران، واتفق الجميع على التأهب لتجديد القتال ضد قوات الاحتلال الفرنسي بعد انقضاء فترة العيد¹.

خلال الفترة الممتدة من احتلال مدينة وهران 1831م إلى جوان 1832م، حصلت تطورات جديدة في المنطقة كانت تهدد استمرار المقاومة، حيث بدأ الجنرال بوايي يتدخل لربط اتصالات مع بعض قبائل المنطقة لتموين الحامية الفرنسية بوهران، وعمل على ضرب العلاقات بين قبائل المنطقة وتوترها لإضعاف المقاومة، ونتيجة لتلك السياسة الفرنسية المنتهجة ربطت كل من: قبائل الزمالة والدواير وقاضي آرزويو بن طاهر، علاقات تجارية مع قوات الاحتلال الفرنسي، أما في مستغانم فكان القائد إبراهيم بها محاصرا من قبل قبائل مزهران²، ولتقوية صفوف المقاومة والقضاء على تلك الاضطرابات قام الشيخ محي الدين بمراسلة العربي في الشلف، وطلب منه مهاجمة مستغانم، بينما اتجه مرة أخرى إلى تلمسان لتسوية الخلافات التي كانت قائمة بها بين الحضر والكراغلة، وطالب العثمانيين بالمدينة تزويده بالمدافع إلا أن مساعيه هذه باءت بالفشل، كما قام بإرسال تهديد شديد اللهجة إلى قاضي آرزويو، يطالبه فيه بالكف عن التعامل مع قوات الاحتلال الفرنسي³.

ورغم كل المساعي التي قام بها الشيخ محي الدين من خلال الإجراءات والتدابير لتوحيد صفوف المقاومة، إلا أن الاضطرابات كانت تتصاعد بين سكان المنطقة، وكانت الأوضاع تتأزم فيما بين القبائل، بعدما تمكن الجنرال بوايي بفضل جواسيسه، من إحداث الفتنة بين قبائل الزمالة والدواير⁴ من جهة، وقبيلة الغرابية من جهة أخرى⁵.

¹ - محمد بن عبد القادر الجزائري، المصدر السابق، ص 151.

² - شارل هنري تشرشل، المصدر السابق، ص 35.

³ - P.Azan, L'Emir Abdel-Kader, du fanatisme musulman au patriotisme chrétien (1808- 1886), Op.cit., P.216.

⁴ - الدواير والزمالة: اصل هؤلاء الدواير والزمالة اخلاط من العرب والبربر، فالدواير قبيلة من القبائل الموالية للعثمانيين رئيسها مصطفى بن إسماعيل والذي قام بمساندة قوات الاحتلال الفرنسي. ينظر: محمد بن يوسف الزياني، دليل الحيران وانيس السهران في اخبار وهران، تحقيق المهدي البوعبدلي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978، ص16.

⁵ - كانت قبائل الغرابية ترفض استخدام أراضيها من قبل قبائل الزمالة والدواير للتواصل تجاريا مع الفرنسيين بوهران، فالجنرال بوايي كان على علم بمشكلة الحدود بين القبائل، فاستخدم ذلك لإثارة المشاكل بينها. ينظر:

P.Azan, L'Emir Abdel-Kader, du fanatisme musulman au patriotisme chrétien (1808- 1886), Op.cit.,P.216.

عمل الشيخ محي الدين للقضاء على تصاعد تلك الفتنة بين القبائل الجزائرية وقام بإعلان الجهاد مجدداً ضد قوات الاحتلال الفرنسي، لكي يوجه أنظار الجزائريين إلى الخطر الحقيقي الذي يهددهم، فسار في 31 أوت 1832م على رأس مجموعة من رجال قبيلة الغرابة باتجاه وهران، حيث صادر بعض المؤن التي كانت موجهة لقوات الاحتلال الفرنسي بوهران¹. هاجمت عناصر المقاومة الجزائرية في 19 سبتمبر 1832م مدينة وهران، إلا أن قوة القصف المدفعي وتحصينات المدينة التي أقامتها قوات الاحتلال الفرنسي بها جعلتهم يتراجعون، وفي 23 أكتوبر كرر الشيخ محي الدين مهاجمة قوات الاحتلال الفرنسي على رأس 500 مقاتل، وبالرغم من أن هذه الهجومات لم تكن شديدة التأثير على قوات الاحتلال، إلا أنها أثارت حمية القبائل، للمشاركة في عملية المقاومة ضد قوات الاحتلال الفرنسي²، حيث انضمت إلى الشيخ محي الدين بمعسكر حوالي 3000 مقاتل، وسار على رأسهم في 10 نوفمبر باتجاه وهران.

قام الشيخ محي الدين بترتيب ثلاث كمائن لقوات الاحتلال الفرنسي في ضواحي المدينة، إلا أن هذه القوات تفتنت للأمر وبادرت بطلقات المدافع من برج سانت أندري، وفي اليوم الموالي خرجت قوات الاحتلال الفرنسي من وهران لتلتقي في معركة قوية مع قوات المقاومة في منطقة سيدي الشبل، حيث تعرضت قوات المقاومة لخسائر عديدة نتيجة القصف المدفعي وتمرس عناصر جيش الاحتلال الفرنسي، وهو ما دفع الشيخ محي الدين إلى سحب المجاهدين باتجاه مسرغين³، وبما أن تلك الفترة تزامنت مع موسم الحرث، قام الشيخ محي الدين بترك عناصر المقاومة لتلتحق بمضاربها للاهتمام بمصادر عيشهم، وأمرهم بالتأهب مرة أخرى لمقاتلة قوات الاحتلال الفرنسي بعد نهاية موسم الحرث⁴.

ومما تقدم ذكره نستنتج بأن اختلاف المواقف من قبل سكان الغرب الجزائري، جعل الاحتلال الفرنسي يسيطر على المنطقة، وقد أظهرت ضرورة وجود سلطة تنظم تلك الأوضاع وتقود المقاومة، وحتمت الظروف المضطربة التي أضحت يعيشها سكان الغرب الجزائري، أمام

1 - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 169.

2 - نفسه، ص 170.

3 - P. Azan, Les débuts d'Abdelkader, Op.cit.,P.216.

4 - Ibid, P.217.

انهيار سلطة العثمانية ببايلك الغرب وانتشار الفوضى، كما بينت المواقف المتخاذلة التي أبدتها بعض الأطراف الخارجية الإسلامية في نصره المقاومة بالمنطقة كالموقف السلبي السلطان المغربي، وانتهازية بايات الأسرة الحسينية، ولامبالاة سلطة الباب العالي بمصير القطر الجزائري، أدى إلى بروز ضرورة قيام سلطة محلية داخلية تلقى الإجماع من قبل سكان المنطقة، وتفرض سلطتها على الجميع وتعمل على حشدهم لمواجهة المستعمر الفرنسي، فمن خلال ذلك يتبين لنا ثقل المهمة التي سيتكفل بها الأمير عبد القادر، كما ستبين في الوقت نفسه الانجاز الحقيقي للأمير خلال قيادته للمقاومة الوطنية في هذا الظرف الدقيق والخطير، ومن جهة أخرى فان مسببات هذه المواقف ستكون من الصعوبات العويصة التي ستعرقل المقاومة، وتحول دون إتمام بناء مشروع الدولة الجزائرية الحديثة التي كان يأمل الأمير تحقيقه في الجزائر.

-استنتاج:

لقد تخلفت الدولة العثمانية عن أي رد فعل اتجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر، ويرجع ذلك التراجع للإبقاء على بعض ممتلكاتها في المشرق العربي نظرا للمشاكل الداخلية والخارجية التي كانت تعاني منها الدولة زيادة للتحريشات الأوروبية وخاصة من قبل روسيا والنمسا إلى جانب محاولة محمد علي باشا الاستقلال وتحالفه مع بعض الدول الأوروبية للقضاء على الدولة العثمانية، وكلا من تونس والمملكة المغربية، أبدت الحياد واعتبرت أن احتلال فرنسا للجزائر، هي قضية داخلية لا يجوز التدخل في الشؤون الداخلية لأي دولة، وسيكون لكل منهما مواقف أخرى بعد بداية المقاومة.

تباينت الرؤى العربية من موقفها من الاحتلال الفرنسي للجزائر سواء تعلق الأمر بدول الجوار أو الدول العربية الأخرى التي كانت تربطها علاقات سياسية أو تجارية اقتصادية مع الجزائر خلال الفترة العثمانية، لذا نرى أن السلطات الاستعمارية الفرنسية كان لها موقف من جميع

هذه الدول العربية في ربط علاقات دبلوماسية مع هذه الدول حتى تضمن عدم مساندتها للجزائر، سواء في العمل السياسي الدبلوماسي أو من ناحية المساندة المادية وخاصة ما تعلق بعملية التدخل، وإفشال المشروع الفرنسي في الجزائر.

كانت مساعي السلطات الفرنسية من خلال ممثليها من قناصل وجواسيس في الدول العربية، الذين كان لهم الفضل في إفشال جميع المشاريع العربية في مساندة الجزائر من خلال ضرب العلاقات العربية، وخاصة العلاقات المغربية في إطار المصالح المشتركة وفي إطار التهديدات العسكرية، لذا نرى أن فرنسا أخذت كل احتياطاتها لإنجاح مشروعها الاستعماري في إطار عدم تدخل أي طرف من قبل الدول العربية، سواء باسم الدين الإسلامي والدفاع عن الأراضي الإسلامية من التدخل الصليبي الأجنبي، أو باسم عملية التوسع على حساب الأراضي الجزائرية لخلفيات تاريخية .

إن الظروف الداخلية والخارجية التي قبيل عملية الاحتلال للجزائر، ساعدت على نجاح الحملة الفرنسية لاعتبارات سياسية ودبلوماسية استخدمتها السلطات الاستعمارية الفرنسية، من خلال ضرب العلاقات المغربية وخاصة بعد التدخل التونسي بإقليم مع عدم نجاح التوسع المغربي على حساب الأراضي الجزائرية، وعود هذا الطرح لطبيعة العلاقات الجزائرية مع الدول المغربية خلال فترة الحكم العثماني حيث كلا من تونس والمغرب كانت تريد التوسع على حساب الأراضي الجزائرية.

لذا استغلت السلطات الاستعمارية الفرنسية تلك الظروف وتلك العلاقات التي كانت تخدم مصالحها على حساب ضرب كل وحدة مغربية ضد مشروعها وخاصة في إطار علاقة الجوار ما تعلق بالقرب الجغرافي والصلات الاجتماعية والاقتصادية التجارية والثقافية الفكرية التي تربط هذه الدول.

إلى جانب ذلك نرى عدم استطاعة طرابلس الغرب من الوقوف في وجه الأسطول البحري الفرنسي، الذي هددها في حالة أي مساندة مادية أو معنوية للجزائر، فالدول العربية التي كانت

تابعة للحكم العثماني، استفادت منها فرنسا وضمن عدم عرقلة مشروعها الاستعماري وخاصة تونس ومصر.

استفادت من تلك المفاوضات الفرنسية المصرية لاحتلال الجزائر، فالدهاء الدبلوماسي الفرنسي يكمن في كيفية تفاوض مع الدول العربية ودول الجوار، والعمل على إنجاز حملتها من دون خسائر مادية وبشرية لأن نجاح فرنسا ارتبط بنجاح حملتها على الجزائر، وخاصة بعد الخسائر التي تكبدتها في أمريكا الشمالية، وصراعها مع بريطانيا إلى جانب خسائرها في أوروبا من خلال حروب نابليون بونابارت، وحملاتها العسكرية المتكررة لاحتلال الجزائر، لذا سعت فرنسا بجهودها الدبلوماسية، ضمن حملتها على الجزائر في ظل الضعف التي كانت تعيشه البلدان العربية والدولة العثمانية خلال هذه الفترة .

- قائمة المصادر والمراجع:

1- المصادر اللغة العربية:

- ابن ابي دينار القيرواني، المؤنس في تاريخ افريقيا وتونس، تحقيق محمد شمام، المكتبة العتيقة، تونس، 1967.
- أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، كتاب الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، القسم الثالث: الدولة العلوية، ج3- 03، تحقيق وتعليق جعفر الناصري - محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1956.
- احمد بن عبد الرحمن الشقراني الراشدي، القول الأوسط لمن حل بالمغرب الاوسط، تحقيق ناصر الدين سعيدوني، دار البصائر، الجزائر، د.ت.
- ارجمند كوران، السياسة العثمانية اتجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر 1827- 1830، ترجمة عبد الجليل التميمي، منشورات الجامعة التونسية، تونس، 1970.
- الاغا بن عودة المازاري، طلوع سعد السعود في اخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا الى أواخر القرن التاسع عشر، تحقيق يحي بوعزيز، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990.
- الزهار احمد الشريف ، مذكرات الحاج احمد الشريف الزهار نقيب اشرف الجزائر 1754- 1830، تقديم امد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974.
- الزياتي محمد بن يوسف ، دليل الحيران وانيس السهران في اخبار وهران، تحقيق المهدي البوعبدلي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978.

- بفايفر سيمون، مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر، ترجمة أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1984.
- بلهاشمي بن بكار، كتاب مجموع النسب والحسب والفضائل والتاريخ والأدب في أربعة كتب، مطبعة ابن خلدون، تلمسان، 1961.
- جورج داون، مشروع حملة محمد علي على الجزائر 1829-1830 وثائق وزارة الخارجية الفرنسية، ترجمة عثمان مصطفى عثمان، مراجعة عبد الرؤوف احمد عمرو، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2010.
- حمدان بن عثمان خوجة، المرأة، تقديم وتعريب وتحقيق محمد العربي الزبييري، منشورات المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2006.
- شارل هنري تشارشل، حياة الأمير عبد القادر، تر أبو القاسم سعد الله، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2004.
- شارل وليام، مذكرات قنصل أمريكا في الجزائر 1816-1824، تعريب إسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.
- صالح العنتري، مجاعات قسنطينة، تحقيق رابح بونار، الشركة لوطنية للنشر، الجزائر، 1974.
- محمد بن عبد القادر، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر، تحقيق ممدوح حقي، مؤسسة الأمير عبد القادر، الجزائر، 2001.
- وليام سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب عبد القادر زبادية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980.
- **المراجع باللغة العربية:**
- احمد ياغي إسماعيل، العالم العربي في التاريخ الحديث، مطبعة العبيكان، الرياض، ط1، 1997.
- أديب حرب، التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر الجزائري، ج1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983.
- الأشرف مصطفى، الجزائر الأمة والمجتمع، ترجمة حنفي بن عيسى، دار القصبية، الجزائر، 2007.
- برينان أندري وآخرون، الجزائر بين الماضي والحاضر، ترجمة رابح اسطنبولي ومنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984.
- بلاح بشير، تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1989، ج1، دار المعرفة، الجزائر، 2006.
- بن صغير خالد، المغرب وبريطانيا العظمى في القرن التاسع عشر 1856-1886، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1997.
- بنور فريد، المخططات الفرنسية تجاه الجزائر 1782-1830، مؤسسة كوشكار للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008.
- بوزيان عمر، جذور اتحاد المغرب العربي والجزائر 1832-1845، منشورات عكاظ، المغرب، 1988.
- بوضرساية بوعزة، سياسة فرنسا البربرية في الجزائر (1830-1930م) وانعكاساتها على المغرب العربي، دار الحكمة، الجزائر، 2010.

- بوعزيز يحيى ، الجديد في علاقات الأمير عبد القادر مع اسبانيا وحكامها العسكريين بمليية ، دار البعث للطباعة والنشر، ط.1، الجزائر، 1962.
- بوعزيز يحيى، الاستعمار الأوروبي في إفريقيا وآسيا والجزر والمحيطات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1988.
- بوعزيز يحيى، المراسلات الجزائرية الاسبانية في أرشيف التاريخ الوطني لمدريد 1870-1898، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 1993.
- بوعزيز يحيى، الموجز في تاريخ الجزائر، ج2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999.
- بوعزيز يحيى، علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوروبا 1500-1830، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1985.
- بوعزيز يحيى، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، ج1، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2004.
- التازي عبد الهادي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم، مج09، الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية، 1988.
- جلال يحيى، العالم العربي الحديث، ج1، محطة الرمل، الجزائر، 1998.
- جلال يحيى، التاريخ الأوروبي الحديث والمعاصر سيطرة أوروبا على العالم، ج4، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، د.ت.
- الجمل شوقي عطا الله، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا – تونس- الجزائر- المغرب)، المكتبة الانجلو مصرية، القاهرة، 1977.
- الجيلالي عبد الرحمن، تاريخ الجزائر العام، ج3-ج4، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982.
- الحمداني عمار، حقيقة غزو الجزائر، ترجمة لحسن زغدار، ثالة للنشر، الجزائر، 2007.
- رزيق محمد، العلاقات الجزائرية الفرنسية من خلال معاهدة التافنة 1837، دار قرطبة، الجزائر، ط1، 2013م.
- روسي اتوري، ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911، ترجمة خليفة محمد التليسي، الدار العربية للكتاب، الإسكندرية، 1991.
- زاهر رياض، استعمار افريقيا، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1965.
- الزبيري محمد العربي، تاريخ الجزائر المعاصر دراسة، ج1، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1999.
- الزبيري محمد العربي، التجارة الخارجية للشرق الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1972.
- الزبيري محمد العربي، مقاومة الجنوب للاحتلال الفرنسي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1972.
- زروال محمد، العلاقات الجزائرية الفرنسية (1830-1791م)، دحلب، الجزائر، 1994.
- زوزو عبد الحميد، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1900، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2009.

- ساحلي محمد الشريف، الأمير عبد القادر أباطيل فرنسية وحقائق جزائرية، تر حبيب شنيني، دار القصة للنشر الجزائر، 2003.
- سعد الغالبي سلوى، العلاقات العثمانية الأمريكية 1830-1918م، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2002.
- سعد الله أبو القاسم، أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر، القسم الأول، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1981.
- سعد الله ابو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1992.
- سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الحديث، بداية الاحتلال، معهد البحوث والدراسات العربية، مصر، 1970.
- سعد الله أبو قاسم، الحركة الوطنية الجزائرية، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1992.
- سعدي عثمان، عروبة الجزائر عبر التاريخ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2، 1985.
- سعيدوني ناصر الدين، دراسات و ابحاث في تاريخ الجزائر الفترة الحديثة والمعاصرة، ج3، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988.
- سعيدوني ناصر الدين، عصر الأمير عبد القادر، دار البصائر، الجزائر، 2012.
- سعيدوني ناصر الدين، ورقات جزائرية دراسات و ابحاث في تاريخ الجزائر العهد العثماني، دار البصائر، الجزائر، 2009.
- سعيدوني ناصر الدين، دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر: العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
- سلاماني عبد القادر، الاستراتيجية الفرنسية لإجهاض الدولة الجزائرية الحديثة، دار قرطبة، الجزائر، 2013.
- سماعيل زوليفة، تاريخ الجزائر من فترة ما قبل التاريخ إلى الاستقلال، دار دزاير أنفو، الجزائر، ط1، 2013.
- سيدهم فاطمة الزهراء، العلاقات الجزائرية الفرنسية ما بين 1790-1830م، دار كوكب العلوم، الجزائر، ط1، 2013.
- الشباني بن بلغيث، الجيش التونسي في عهد محمد الصادق باي 1859-1882، تقديم عبد الجليل التميمي، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، صفاقس، 1995.
- شريط عبد الله - الملي محمد ، الجزائر في مرآة التاريخ، ط1 ، مكتبة البعث قسنطينة، الجزائر، 1965.
- شويتام ارزقي، دراسات ووثائق في تاريخ الجزائر السياسي والعسكري الفترة العثمانية 1519-1830، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2010.
- صلاح العقاد، المغرب العربي الحديث والمعاصر الجزائر تونس المغرب الأقصى، مكتبة الانجلو مصرية، القاهرة، 1993.
- طيبي محمد، الجزائر عشية الغزو الاحتلالي - دراسة في الذهنيات والبنىات والمآلات، دار ابن نديم، الجزائر، ط1، 2009.

- عباد صالح ، الجزائر خلال الحكم العثماني 1514-1830، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2005.
- عبد العاطي جلال، فرنسا في الجزائر، دار ثالة، الجزائر، 2013.
- عثمان مسعود، الثورة التحريرية أمام الرهان الصعب، ج1، دار الهدى، الجزائر، 2013.
- العربي إسماعيل، العلاقات الدبلوماسية الجزائرية في عهد الأمير عبد القادر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982.
- العربي إسماعيل، المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.
- عزت عبد الكريم احمد، دراسات في تاريخ العرب الحديث، دار النهضة العربية، بيروت، 1970.
- عمورة عمار، الجزائر بوابة التاريخ، الجزائر خاصة ما قبل التاريخ إلى 1962، دار المعرفة، الجزائر، 2006.
- عمير اوي حميدة ، علاقات بايلك الشرق الجزائري بتونس أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي، دار البعث، قسنطينة، 2002.
- الغالي غربي، العدوان الفرنسي على الجزائر الخلفيات والأبعاد، دار هومه، طبعة خاصة، الجزائر، 2007.
- فارس خير الدين، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني الى الاحتلال الفرنسي، مطابع ألف باء الاديب، دمشق، 1969.
- فركوس صالح ، المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفنيقيين إلى خروج الفرنسيين (1814م-1962م)، دار العلوم للنشر، عنابة، 2002.
- فركوس صالح، الحاج احمد باي قسنطينة 1826-1850م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009.
- فكري طونا، ترجمة ما ورد في البنديين المتعلقين بأوجاق غرب الجزائر مما تناولته الجريدة الباريسية، مجلة التاريخ، العدد 19، الجزائر، 1985.
- فيلالى عبد العزيز، جرائم الجيش الفرنسي في مقاطعتي الجزائر وقسنطينة (1830-1850م)، دار الهدى، الجزائر، 2012.
- قاسمي حسني عبد المنعم، دور الزوايا والطرق الدينية في محاربة الاحتلال الفرنسي في الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.
- قداش محفوظ، جزائر الجزائريين تاريخ الجزائر 1830-1954م، ترجمة محمد المعراجي، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والاشهار، الجزائر، 2008.
- قنان جمال، العلاقات الفرنسية الجزائرية (1830-1790م)، منشورات ألف صفحة، الجزائر، 2014.
- قنان جمال، معاهدات الجزائر مع فرنسا، (1619، 1830)، الشركة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987، ص 185.
- لفوميكاكي رود، طرابلس الغرب تحت حكم الاسرة القرمانلية، تعريب طه فوزي، دار الفرجاني، طرابلس، د.ت.

- محجوبي علي، العالم العربي الحديث المعاصر، تخلف فاستعمار فمقاومة، دار محمد علي للنشر، تونس، 2009 .
- محمود باشا محمد، ذريعة المروحة 1827م أو الاستيلاء على إيالة الجزائر، ترجمة عزيز نعمان، دار الأمل، 2010.
- المدني احمد توفيق، حرب ثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا 1492-1792، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
- المدني احمد توفيق، كتاب الجزائر، المكتبة العربية، الجزائر، 1350هـ.
- مرتاض عبد المالك، نهضة الأدب المعاصر في الجزائر (1923-1954م)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1983.
- مسعودي أحمد، الحملة الفرنسية على الجزائر والمواقف الدولية منها (1792-1830م)، دار الخليل العلمية، الجزائر، طبعة خاصة، 2013.
- مقلد الغنيمي عبد الفتاح، موسوعة المغرب العربي، ج5-6، مج03، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1994.
- الملي محمد بن مبارك، تاريخ الجزائر القديم والحديث، الجزء الثالث، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، 1964.
- نايت بلقاسم مولود قاسم، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830، دار الامة، الجزائر، 2007.
- هلال عمار، أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة 1830-1962، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995.
- هلايلي حنيفي، العلاقات الجزائرية الأوروبية ونهاية الايالة 1815-1830م، دار الهدى، الجزائر، 2007.
- هلايلي حنيفي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار الهدى، الجزائر، 2008.
- وولف جون بول، الجزائر وأوروبا، ترجمة أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.
- حسني محمد الهادي، الاحتلال الفرنسي للجزائر من خلال نصوص معاصرة، عالم الأفكار، الجزائر، 2006.
- الهنداوي محمود إحسان، الحوليات الجزائرية، العربي للإعلان والنشر والتوزيع، دمشق، 1977.
- المجلات والدوريات:**
- المدني أحمد توفيق، من الوثائق العثمانية عن التاريخ الجزائري محمد علي باشا ومسايعه مع فرنسا لاحتلال الجزائر ومهمة طاهر باشا، مجلة التاريخ، العدد 12، الجزائر، 1982.
- بوشناق محمد، الداى حسين وسقوط الايالة الجزائرية 1818-1830، مجلة عصور، العدد 06-07، جامعة وهران، جوان- ديسمبر 2005.
- بوضرساية بوعزة، موقف حاكم مصر محمد علي باشا من الاحتلال الفرنسي للجزائر من خلال إحدى التقارير السرية الفرنسية، مجلة الذاكرة، العدد 3، جانفي 1995.
- التميمي عبد الجليل، مغامرة الحماية التونسية على وهران، المجلة التاريخية المغربية، العدد 05، تونس، 1976.

- خالد يوسف وليد، حكم الاسرة القرمانيية في ولاية طرابلس الغرب 1711-1835م، مجلة جامعة تكريت للعلوم الانسانية، العدد 06، العراق، 2012.
- عمر بن خروف، علاقة الجزائر السياسية مع تونس في عهد الدايات 1671-1830، مجلة الدراسات التاريخية، العدد، الجزائر، 1997.
- عبد المجيد قدور، النشاط الاقتصادي الفرنسي في الجزائر وتونس خلال العهد العثماني، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 28، جامعة وهران، 2007.
- عمير اوي حميدة، جيش الاحتلال الفرنسي في الجزائر، مجلة سيرتا العدد 12، منشورات جامعة منتوري، قسنطينة، 1999.
- فارس العيد، طبيعة العلاقات الجزائرية مع المغرب الأقصى وتونس (1830-1847م)، مجلة عصور الجديدة، العدد 19-20، جامعة وهران، 2015.
- فكاير عبد القادر، علاقات الجائر مع هولندا خلال الفترة العثمانية، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، العدد 01، جامعة معسكر، 2007.
- ناصر الدين سعيدوني، ثلاث وثائق تتعلق بأوضاع الجزائر قبل الاحتلال، مجلة التاريخ، العدد 7، الجزائر، 1979.
- نقاز سيد أحمد ، الأسرة الجزائرية أثناء الاحتلال الفرنسي، مجلة المصادر، العدد 13، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2013.
- نايت قاسي الياس، قراءة في تطور الموقف البريطاني من الاحتلال الفرنسي للجزائر 1830-1847، مجلة دراسات وابحث المجلة العربية للأبحاث والدراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 13، العدد 01، جامعة الجلفة، جانفي 2021.
- الرسائل الجامعية:
- المكي، جلول مسألة الحدود بين الجزائر والمغرب (631-1263هـ-1234-1847م)، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، اشراف مولاي بلحميسي، جامعة الجزائر، 1994.
- تابليت علي ، العلاقات الجزائرية الامريكية 1776-1830، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، 2006-2007، ص 469.
- دادة محمد، السياسة الاستيطانية الفرنسية في الجزائر، 1852-1870، رسالة لنيل شهادة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف، دحو فغورور، السنة الجامعية، 2002-2003.
- سليمان سيد أحمد، سياسة فرنسا في توطين الأوربيين في الجزائر، 1830-1887 بحث لشهادة الدراسات المعمقة، جامعة وهران، جوان، 1976.
- صحراوي فتيحة، الجزائر في عهد الدايا حسين (1830-1818م)، مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر، 2011.
- صغيري سفيان، العلاقات الجزائرية العثمانية خلال عهد الدايات في الجزائر (1671-1830م)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف حسينة حماميد، جامعة باتنة، 2011-2012.
- علوش سهيلة، حصن الباستيون الفرنسي والسلطات المحلية في لجزائر العثمانية، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، اشراف قشي فاطمة الزهراء، جامعة قسنطينة، 2005-2006.

- قنون حياة، اللاجئون السياسيون الاسبان في الغرب الجزائري 1936-1962، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، اشراف فغور دحو، جامعة وهران، 2010-2011، ص39.
- كليل صالح، سياسة خير الدين في مواجهة المشروع الاسباني لاحتلال المغرب الأوسط، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة باتنة، 2006-2007، ص 189.
- موساوي القشاعي فلة، الواقع الصحي والسكان في الجزائر أثناء العهد العثماني وأوائل الاحتلال الفرنسي(1871-1514) أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، 2005.
- الموسوعات والقواميس:
- عبد الوهاب الكيالي، الموسوعة السياسية، ج03، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1985.
- منير البعلبكي، معجم اعلام المورد ، موسوعة تراجم لأشهر الاعلام العرب والاجانب القدامى والمحدثين، دار العلم للملايين ، بيروت، 1992.

LES SOURCES

- .Berbrugger.Bresnier, Première proclamation Française aux Algériens, Revue Africaine, ed.A.Jourdan.Libraire n06, 1862.
- .D'Haussey .B , Mémoires du baron D'Haussez, Calmann Lévy Frères, Paris, T 2, 1896.
- .Derrien .I, les français à Oran depuis 1830 jusqu'à nos jours. Première partie . J-nicot. Aix, France. 1886.
- . Estirasy . W, Notice historique sur le maghzen d'Oran, Typographie de Berrier, éd. Paris, 1849.
- .Gaffarele. P, L'Algérie Histoire Conquête Colonisation, Librairie FirminDidot,Paris, 1883.
- .Henry .D, Les conquérants de l'Algérie (1830-1852) Berger-Levrault, éd., Paris, 1930.
- . Lapène. M, Tableau historique de la Province d'Oran 1791-1851, éd. Lamort, Metz, 1842.
- . Pillissier .De Reynaud. E, *Annales Algériennes*, éd. Militaire, Paris, 1854, t. 1.
- . Rousset .C, La conquête d'Alger, éd. Plon, Paris, 1880.

LES OUVRAGES

- . Azan .P , les débuts d'Abdel Kader , B.S.G.A.O.,T XI, Fouque, Oran, 1920.
- Azan .P, L'Emir Abdel-Kader, du fanatisme musulman au patriotisme chrétien (1808- 1886) librairie Hachette, Paris, 1929.
- . Azan .P, Les grands soldats de L'Algérie, P. C. M. C.L,Paris,1930.
- . Bejaud. L, Boutin Agent secret de Napoléon 1er et précurseur de l'Algérie Française, Frédéric Chmperland, 1950.
- . Emrit .M, L'Algérie à l'époque d'Abd elkader, éd. Larousse, Paris, 1951.
- . Esquer. G, La prise d'Alger 1830, éd. Larousse, Paris,1929.

- Garrot. H, Histoire général de l'Algérie, Imprimeurs. P.Roscenzo, Alger,1910.
- Julien .Ch.- A, Histoire de l'Algérie contemporaine conquête et colonisation (1827- 1871), éd. PUF, Paris.1969.
- Khel .C, Oran et l'oranie avant l'occupation française , L.Foque,1942.
- Mercier. E, Histoire de Constantine, J. Marle et F. Biron, Imprimeurs-Editeurs, Constantine, 1903.
- Péchot .L, Histoire de l'Afrique du nord avant 1830, Gojosso. Imprimeurs. Editeur., Alger,1914.
- Rousc. Ch, France et Afrique du nord avant 1830. Les persécuteurs de la conquête, Paillart, Paris, 1932.
- Serres .J , La politique Turque en Afrique du nord sous la monarchie de juillet, librairie orientaliste Paul Geuthner, Paris,1925.

LES REVUES

- Beckles. H. W, l'ambassade d'Angleterre 1814-1920 ; un siècle de relations diplomatiques Franco-Britanniques. Revues Belge de philologie et d'histoire, 09 (02),1930.
- Cour .A, L'occupation Marocaine de Tlemcen Septembre 1830 -Janvier 1836, Revue Africaine,t. 52,1908.
- Temimi. A, Document Turcs inédits sur le bombardement d'Alger1816, Revue de L'occident musulman et la méditerranée, N05, 1968.
- Vandermotten .Ch , La crise de l'état belge, Echo Geo ,sur le vif, ed. Open,belgique,2007.

الفهرس:

- المقدمة.....ص01.
- المدخل.....ص03.
- المحاضرة الأولى: الحركة الاستعمارية الفرنسية واحتلال مدينة الجزائر
1830م.....ص07.
- المحاضرة الثانية: العلاقات الدبلوماسية الجزائرية
الفرنسية.....ص11.
- المحاضرة الثالثة: علاقات الجزائر مع أمريكا والدول
الأوروبية.....ص15.
- المحاضرة الرابعة: خلفيات الاحتلال الفرنسي للجزائر
.....ص19.
- المحاضرة الخامسة: الاستعدادات الدبلوماسية والعسكرية الفرنسية لغزو
الجزائر.....ص25.
- المحاضرة السادسة: المخططات والمشاريع الفرنسية لغزو الجزائر 1782- 1830م
.....ص32.
- المحاضرة السابعة: الجانب الدبلوماسي المعاهدات الدولية
.....ص40.
- المحاضرة الثامنة: الموقف الإنجليزي للاحتلال الفرنسي
للجزائر.....ص47.
- المحاضرة التاسعة: موقف دول أوروبا الشرقية من الاحتلال الفرنسي للجزائر
.....ص52.

- المحاضرة العاشرة: الموقف الاسباني للاحتلال الفرنسي للجزائر.....ص 57.

- المحاضرة الحادي عشر: موقف الدويلات الإيطالية للاحتلال الفرنسي للجزائر.....ص 61.

- المحاضرة الثانية عشر: الموقف الأمريكي من الاحتلال الفرنسي للجزائر.....ص 63.

- المحاضرة الثالثة عشر: الموقف التونسي من الاحتلال الفرنسي للجزائر.....ص 65.

- المحاضرة الرابعة عشر: موقف المغربي من الاحتلال الفرنسي للجزائر.....ص 73.

- المحاضرة الخامسة عشر: الموقف طرابلس الغرب من الاحتلال الفرنسي للجزائر.....ص 78.

- المحاضرة السادسة عشر: الموقف المصري من الاحتلال الفرنسي للجزائر.....ص 81.

- المحاضرة السابعة عشر: الموقف العثماني من الاحتلال الفرنسي للجزائر.....ص 86.

- المحاضرة الثامنة عشر: موقف العثماني السكان من الاحتلال الفرنسي للجزائر.....ص 90.

- قائمة المصادر والمراجع.....ص 105.

-الفهرس.....ص 114.

